مُحمّد المَشَد

بطلةُ كلّ حكاياتي

رواية



مستوحاة من
أحداث حقيقية

ساحر الكتب

إلى مُلهِمَتي إنجي

بطلة كل حكاياتي

أكتبُ فيكِ وإليكِ روايتي الثالثة

أعِدُكِ أن تكون الأخيرة

مثلما وعَدتُكِ في الأولى

محمد المشد

(١)

يالفرحة المحب حين يجد حبيبه أمام عينيه بعد يوم شاق.

هذا ما حدث أثناء خروج محمد من العمل حيث وجد خطيبته إنجي في انتظاره على الجانب الآخر من الطريق المواجه لباب العمل المطل على كورنيش المعادي.

عبر محمد الطريق بابتسامة تتسع كلما اقترب من حبيبته، وعندما وقف أمامها نزلت على ركبتيها ثم أخرجت باقة ورد من خلف ظهرها ومدتها له، وأثناء نزولها على ركبتيها انطفأت ابتسامة محمد من شدة الذهول وهو يمسك بذراعي إنجي محاولاً منعها من النزول، لكنها تَرَجَتهُ بكل ما بينهما وناشدته عيناها أن يتركها تركع أمام الدنيا وهي تقول «سامحني عما قلته ليلة أمس، لم أقصد ما فهمته، ولكن من حقي أن أعوضك عن فهمك الخاطئ لكلماتي التي حملت معاني لا تليق أن تقال بيننا، ولن أقف إلا بعد أن تقسم بأنك سامحتني، وتفهمت قصدي، وتقسم ألا تنسى ما أنا فيه الآن لأجلك، لأجلك يا حبيبي».

من هنا تبدأ قصتنا بين ثلاثة أبطال «الأسرار، الذاكرة، الوفاء».

يقول الراوي: وكيف لفتاة أن تركع أمام الناس؟! بمنتصف طريقٍ عمومي في لحظة خروج الموظفين من أشغالهم والطلاب من مدارسهم، وهي ليست فتاة عادية، إنها إنجي، تلك الفتاة الحيية عالية النفس التي لا تلين لرجلٍ على الملأ حتى لو خر قلبها راكعًا له، كيف استطاعت أن تخطط لهذا المشهد المهيب؟ وكيف نفذته؟!

سكت الراوي ثم ابتسم قائلًا: «إنه الحب يا صديقي، ولا تُسَمّى مشاعرنا حبًا إلا عندما تُرِينا من أنفسنا ما لم نعرفه عنها وما لم نتوقعه يومًا، الحب يا صديقي هو أن تكتشف شخصًا جديدًا بداخلك».

لحظة..

لعل سؤالاً خطر بعقلك: من هو الراوي؟

إنه الخاطر الخاطف الذي يومض بين عقلك ولسانك، تلك اللحظة الكامنة بين التفكير والمنطوق، ممزوجًا بصوتكَ

الخافت والمعارض لما يدور حولك عما لن تعارضه وستوافق عليه ثم تندم بعد فوات الموقف بأنك لم تعارض أو تُبدِ رأيك، يعيش الرواي بين اللحظات الفاصلة بين رحيل الليل وقدوم النهار، بين الصمت والكلام، بين اليقظة والنوم، بين الهروب والمواجهة، بين الواقع والواقعية، إنه نفسك التي لو عشت بها لتغير كل شيء ولنعمت بحياتك التي تريد.

يعود الراوي لتلك اللحظة المهيبة وإنجي ما زالت راكعة أمام محمد تترجاه أن يسامحها فقال «سامحتك!! بسيطة هذه الكلمة عما بداخلي الآن لكِ»، هكذا عزفت ألحان العشق على لسان محمد، فقالت إنجي: «أرجوك، أسمعني كلمة سامحتكِ يا حبيبتي»، فقال محمد: «سامحتكِ يا حبيبتي، أرجوكِ انهضي، ولكن دعيني ألتقط لنا صورة على حالنا هذا»، التقط الصورة، وقاما في صمتٍ يحمل من المعاني ما لا يستطيع الكلام قوله، وقبل أن يتخطيا خطوة رفعت إنجي حاجبيها في تصنعٍ لاستفهامٍ طفولي وقالت: «هلا أريتني وريدك؟» فمد لها محمد يده اليمنى فتفحصتها في دلالٍ ثم هزت رأسها نفيًا وهي ترفع كتفيها اعتراضًا وقد ضمت شفتيها وأشارت ليده اليسرى فمدها لها بظهرها، فقلبت كفه فظهر وشم فوق وريده مكتوب عليه «مهما كلفني الثمن»، فمدت له يدها اليمنى ليظهر فوق وريدها وشم بنفس نوع

الخط والزخرفة مكتوب عليه «سأبقى معك»، تشابكت أصابعها فاكتملت الجملة وتم المعنى، فانقشعت سحابة الطفولة ونمت أزهار الأنوثة والعشق وهي تقبض بكفيها على ذراعه فتحول الصمت لخشوع، وزادت ملامحهما تبسمًا يبرهن انتعاش روحيهما وتعانقهما.

وبعد خطواتٍ في هذا الصمت المريح، أخرج محمد هاتفه والتقط صورة لهما وإنجي تقبض على يديه. يقول الراوي: محمد عكس إنجي ليس من هواة التصوير، لكن شيئًا بداخله ألهمه أن يثبت الزمان عند المشهدين السابقين، شيء ما في أعماق أعماقه ألهمه أن هذه وثائق سيحتاجها في المستقبل لشيء أكبر مما يحدث الآن، ومن هنا فعليك أن تنصاع لقلبك حين ينقبض دون سبب أو يقودك لشيء ضد طبيعتك دون سبب أيضًا، فالقلوب تُبصر بمقاييس أوسع من الإدراك وأبعد من التوقعات.

ثم أكمل العاشقين طريقهما بفخرٍ وتباهٍ وكأن الدنيا ملكهما، وكأن الشوارع ليس بها سواهما، وبالفعل لم ينتبها لأصوات الزحام وتأفف المنهكين على النواصي في انتظار المواصلات، وبصوت حانٍ قال محمد: «لا أجد ما أقوله»، فقالت إنجي: «عاهدني ألا تنسى ما حدث، وأن تتحملني

حين أفقد سيطرتي على لساني ويتبدل حالي ويمتلكني الخوف من فشل العلاقات، عاهدني أن تراني كما أنا الآن وأن تتأكد أنني حين أثور عليك أكون في أضعف حالاتي، فقط أكون بحاجة لعناقك وأن تخبرني أنك لن تتخلى عني». هَمَّ محمد بالكلام ثم توقف وأمسك بمعصم إنجي ووضع كفها على قلبه وقال: «أعاهدكِ، أن أراكِ دائمًا كما أنتِ عليه الآن، أعاهدكِ، سأبقى معكِ مهما كلفني الثمن»، فقاطعته إنجي مستفهمة: «مهما كلفكَ الثمن؟!» فكرر محمد كلامه بنبره تأكيدية وهو يبتسم، ثم سألها بما أنها المرة الأولى ليدك أن تلامس قلبي، فأي الكلمات تحبين أن أقولها لكِ الآن؟ فقالت: «كل كلامك الآن سواء، قل ما شئت، فأنت أجمل مما ترى أو تدرك». فقال لها: «إنجي، أنتِ استجابة الله لدعائي ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾».

وكما هو المعلوم في اللمسة الأولى تتوقف الأرض عن الدوران ويأخذ التنفس مسارًا جديدًا ويختلف القلب في نبضه، وهذا ما يحدث في كل مرة يتلامسان وكأنها الأولى، فما بالكم لو كان التلامس على القلب.

وأثناء المشي سألها: «هل أخبرتك اليوم بأني أحبكِ؟» فقالت: «لا»، فأجابها بحزمٍ: «إليكِ معلومة جديدة، أنا أحبكِ

يا إنجي»، ثم عبرا بوابات الزمن في لحظات سكون وتأمل بأعين بعضهما، فقالت إنجي: «كنت مشتاقة لكوكبنا»، فأجابها محمد: «وأنا مشتاق لمدحت»، فأحكمت قبضتها بكفيها على كفه.

* * *

أمام مطعم «مكرونتي» وقبيل دخولهما توقفت إنجي ورفعت سبابتها قائلة: «أقسم بالله لن آكل إلا إن وافقت أن أدفع ثمن الغداء»، فأجابها:

- وما المناسبة؟

- لنفترض عدم وجود مناسبة، وستوافق.

- الله الله، بما أن اليوم يومك، موافق.

- بما أنك موافق سأتكرم وأذكر السبب، إنه آخر يوم في مرحلة التدريب بعملك الجديد وأريد الاحتفال بك.

- أووووه، لماذا تذكّرينني بأنه اليوم الأخير للتدريب، إن

بطني تعتصر كلما تخيلت اجتماع المديرة بنا وإعلان أسماء المتدربين الذين سيتوظفون، أخاف ألا أكون منهم.

- أثق بأنك ستكون منهم فلا تفسد احتفالي بك، هيا ندخل المطعم، أم أنك معجب بالوقوف على الباب كالمتسولين؟

- واضح أنكِ ستبعثرين كرامتي مقابل الاحتفال.

- لا عاش ولا كان من يفكر لحظة في المساس بكرامتك.

ثم دخلا المطعم وقد التحم وشميهما، وأثناء انتظار حضور طاجن المكرونة بالجبن والسجق والصوص الأبيض، قالت إنجي:

- كيف كان يومك؟

- ركعت حبيبتي أمام الدنيا وقدمت لي الورد.

- يبدو أنك أسرفت في مشاهدة الأفلام الهندية وروايات الخيال العلمي.

- إن لحبك سحر يفوق السينما، وواقعي معك تخطى الخيال الحلو.

- الفضل يعود إليكَ.

- لولاكِ ما كنت.

- هل تتهرب من إجابة سؤالي عن يومك؟! هل تخفي جريمة فعلتها؟ اعترف.

- سأخبرك، أخذنا محاضرة قصيرة ومعظم اليوم كان استقبال مكالمات العملاء، لأول مرة نلتحم مع العملاء أكثر من ساعتين متواصلتين ثم أخذنا ربع ساعة راحة وعدنا لاستقبال المكالمات ما يقرب من الساعتين أيضًا.

- وكيف كان أسلوبك مع العملاء البنات؟

هنا قاطعهما النادل وهو يضع الطعام، ثم شكراه فقال محمد:

- رائحة المكرونة تخطف العقل مثل صوت العملاء البنات.

- يبدو أن الطعام أتى ساخنًا لألصقه بوجهك.

في لحظتها قرر محمد تغيير مسار الكلام، وكأن إنجي لا تحادثه بنبرة حادة فسألها مدعيًا التحقيق: «هل أخبرتك اليوم أني أحبك؟»، فأجابته بجدية: «هل تغير مسار الكلام لتصلح ما أفسده لسانك؟» فهز رأسه بالموافقة وهو يبتسم، فضحكت وقالت: «مادمت صريحًا، فلنفترض أنني قبلت تغيير مسار الكلام»، فقال محمد: «في أحد الاتصالات ظهر اسم العميلة «إنجي» فرقص قلبي، إن لاسمك إيقاع مميز بعيني وقلبي»، فقالت إنجي:

- اسمي قليل، فما بالكَ باسمك يا محمد، نصف الناس على اسمك، وفي كل طريقٍ أتلفتُ إن سمعته أو رأيته.

- هل حقا ركعتِ لي؟

- هل حقا قلت إن صوت الفتيات يسحرك؟

- لا.

- ظننت أنك قلتها.

- إطلاقًا.

- عفوت عنك.

- هل سنأكل أم سنشم الطعام فقط؟

* * *

انتهى اليوم، وعندما وصلا إلى شارع الأشجار الذي تسكن إنجي في نهايته قال لها: «شكرًا على اليوم الجميل». فأجابته: «لقد بدأت أشتاق إليكَ، صدقت أم كلثوم حين قالت: بشتاق لك وأنا وأنت هنا، بيني وبينك خطوتين»، فتبسم ضاحكًا من حلاوة عينيها في وصف مشاعرها ورفع يدها في حركة دائرية فدارت حول نفسها ويدها بيده عاليًا، وحين عادت كما كانت قالت: «كأنكَ تطيرني للمرة الأولى، متى سأعتاد الطيران؟!»، فقال: «سنشيب ولن تعتادي»، فتبسمت وهمست له: «هلا أريتني وريدك؟»، فمد لها يده اليمنى فتفحصتها، وعندما لم تجد فيها شيئًا طلبت تفحص يده اليسرى، وقرأت الوشم بكل طفولية وأعادا تكرار نفس تفاصيل مشهدهما الذي لا يملانه ولا يخلو منه أي لقاء،

وكالعادة اختتماه بتشبيك أصابعهما فاكتملت جملة الوشم وأكملا المسير، وعندما وصلا أمام بيتها قال محمد: «سأدخل للسلام على والديكِ واصعدي سريعًا لإحضار فلتة»، فسألته لماذا، فأخبرها بأنه رتب حفلة للأطفال في أحد النوادي، وأكمل: «يومها سأنتظرك عند النادي ولا أريدك أن تحملي حقيبة فلتة في المواصلات، يكفي أني لن آتي لآخذكِ من البيت»، فرحت وقبل أن تصعد قالت:

- اليوم سيضيف كثيرًا لملفي السري «أيام لا تُنسى».

- أرجوكِ اكشفي لي سره.

- لا وألف لا، لقد عاهدتُ نفسي أن أكشفه في أحضانك ببيتنا، فحاول إنجازه.

- اللهم قرب بيتنا لأفهم هذا الملف.

أشارت له سلامًا ثم انطلقت للطابق الثاني بينما دخل محمد الطابق الأول لوالديها، سلم عليهما والجو يغلفه صوت أم كلثوم يأتي خافتًا من الكاسيت وهي تقول: «نفسي أنده لك بكلمة ما اتقالتش لحد تاني.. كلمة قد هواك ده كله قد

أشواقي وحناني.. كلمة زيك واللي زيك فين.. ده أنت زيك ما اتخلقش اتنين».

انتهت سلامات محمد ونزلت إنجي فأخذ منها حقيبة كبيرة مليئة برسومات الأطفال وانصرف، فخرجت للبوابة الرئيسية تودعه مع أبيها ثم عادت لوالديها وجلست معهما قليلاً وصعدت.

يقول الراوي: بيت إنجي مصنوع من الشغف وصوت أم كلثوم، ويتكون من ثلاثة طوابق، أبواها في الطابق الأرضي وهو المنبع الكلثومي، وإنجي وأختاها في الطابق الثاني، وأخوها وأسرته في الطابق الثالث، وحول البيت سور يتيح مساحة قليلة حول البيت مليئة بالأشجار الصغيرة وبأقفاص العصافير بمختلف ألوانها وأحجامها، يتوسطها حوض زجاجي مليء بأسماك الزينة، وعلى الأرض بين الوقت والآخر تظهر سلحفاة اسمها «مديحة»، أما سطح البيت فهو مخصص لتربية الحمام في بيت خشبي كبير اسمه بمصر «غيّة» يدور حوله كلبان ضخمان يشبهان الذئاب، والمالك الأول والأخير لتلك الطيور والأسماك هو «العم مجدي» والد إنجي، رجل في منتصف الستينات أحب الزرع والحيوانات والطيور منذ طفولته وشبَّ على صوت أم كلثوم، ذلك العم

الطيب له ملامح تُشعرك بطعم شاي العصاري بجوار ساقية في حقلٍ لا تحيطه مبانٍ، فترى عيونك الخضرة إلى ما لا نهاية، رجل بملامح الحكماء له شارب أبيض عريض ورأسه أقرع على جانبيه شعر أبيض ذو هيبة لكنه معظم الوقت يخبئه بغطاء رأس يليق بموهبته في الرسم، لقد أحببت فيه مواهبه وحبه لتعلم الحِرَف مثل النجارة والنقاشة والسباكة، مما جعله يستطعم الأيام بهدوء ولا يجد وقتا للملل من كثرة أشغاله داخل بيته منذ استيقاظه فجرًا وحتى نومه بعد صلاة العشاء ليقضي يومًا في الزراعة وإطعام الحيوانات والطيور، ويختتمه بالرسم على صوت أم كلثوم، رجل لم يجد مساحة للفراغ حتى بعد بلوغة سن المعاش وإنهاء وظيفته الحكومية.

ولقد وضع بجوار بوابة بيته لافتة مكتوب عليها «فيلا مجدي».

عندما صعدت إنجي لم تجد أحدًا بالطابق الثاني، فأختها ابتسام لم تعُد من العمل، وأختها أحلام تقضي يومين عند خالتها، انتهزت فرصة خلو الشقة ودارت ترقص بطفولية وتكرر حركة محمد حين رفع يدها لأعلى وجعلها تدور راقصة، أنهت رقصاتها ثم دخلت غرفتها، وقبل أن تبدل

ملابسها قامت بتسجيل فيديو على هاتفها تحكي فيه ما دار بيومها مع حبيبها، كعادتها في أيامها المميزة تحكي مذكراتها بدلًا من تدوينها فتزداد قائمة الفيديوهات بفيديو اليوم، في ملف خاص على هاتفها أسمته «أيام لا تُنسى».

ظلت إنجي تهيم في غرفتها حتى أتاها اتصال من أمها تطلب منها النزول لتحضير العشاء فنزلت، وبعد إنهاء التحضير وجدت أنها نسيت إحضار الخبز من الطابق العلوي، فوضعت الطعام أمام والديها وصعدت، أخذت الخبز، لمحت هاتفها على المنضدة فأخذته، أغلقت الباب، بدأت تنزل درج السلم مسرعة، خانتها قدمها والتوت فارتطمت رأسها بقوة في الحائط ثم هوت متدحرجة بكامل جسدها على السلم، ولم تصرخ فقد فقدت الوعي لحظة ارتطام رأسها وطار الخبز منها وطاح هاتفها من شباك السلم هابطًا لغرفة التخزين ثم استقر في دلو أخضر.

مَرَّ وقتٌ أكثر من اللازم فتغيبها والديها، قامت أمها تفتح الباب لتناديها فوجدتها مطروحة أرضًا رأسها أمام الباب وقدماها مرتفعتان على السلم وحولها الخبز مبعثرًا، صرخت أمها، انتفض أبوها.

ومن هنا بداية الحكي..

(٢)

سبع ساعات وإنجي في غيبوبة، ومن حولها أسرتها وحبيبها لا يحسبون الوقت بدقائق الساعة وإنما بلحظات الانتظار الموجعة، لقد أجرى الأطباء فحوصاتهم وأشعاتهم وأخبروهم بخلوها من أية إصابة عضوية خطيرة وأنها مسألة وقت وتفيق، الجميع يجيئون ويذهبون يشاهدونها من خلف الزجاج، إلا حبيبها محمد فقد أسند رأسه على الزجاج دون أي تحرك وهو يسترجع كل شيء بينهما منذ أول لقاء، وكأن العمر مشاهد، في كل مشهد عُمْر، وكيف لعاشقٍ أن يراقب معشوقته ويتأمل كل ما فيها وجسدها مستلقٍ لا يعرف أي حركةٍ وعيناها مغلقتان بعد أن كانتا ضياء حياته، يتأمل سكونها فتغلي دموعه بعينيه دون سقوط، فتجبر صموده على السقوط الداخلي، لكنه ما زال متظاهرًا بالتماسك ليمد أم حبيبته بالصبر، لكن تأملات محمد قطعها رنين هاتف العم مجدي بصوت أم كلثوم تقول: «هات عينيك تسرح في دنيتهم عنيا، هات إيديك ترتاح للمستهم إيديا»، لامست كلمات الأغنية قلب محمد فضاعفت شجونه وأدمعت عينيه، وأكمل الانتظار.

أخيرًا.. لمح محمد تحركًا بسيطًا في جفن حبيبته، فقفز وأسرع لمكتب الطبيب ثم عاد به للغرفة، وبالفعل بدأت في الإفاقة، جالت بعينيها بطيئًا ثم انتفضت مفزوعة تسأل: «أين حبيبي؟ أريد أن أطمئن عليه»، وكانت أمها جالسة أمامها ومحمد يقف خلف سرير إنجي، فتبسم وابتهل وأم إنجي تشير إليه، التفتت إنجي، رأت محمد فتبدد كل شيء وانطفأت ابتسامة الجميع وهي تقول: «لماذا تشيرين لمحمد زميلي في العمل؟».

لقد انتفضت إنجي واقفة وهي تقول: «طمئنوني، ماذا حدث له بعد الحادث؟ أين هو؟» وقامت تتلفت فلم تتحملها قدماها وسقطت على الأرض وهي تكرر الأسئلة، فاحتضنتها أمها وهي تقول: «من تقصدين؟» فأجابت إنجي مستنكرة وهي تصرخ: «وهل غير سراج خطيبي؟! بالله عليكِ يا أمي، خذوني إليه، لقد أخذ صدمة الحادث كاملة»، زادت أمها احتضانها وزاد اندهاش الجميع، ثم ساد صمتٌ يتعذب بلحن بكائها، وأبطأ نبض الأم وهي تستوعب ما تقوله ابنتها، إنها في نفس الحالة التي عاشتها منذ سنين مع خطيبها الأول، وإن لقلب الأم لغة خاصة حين يقول «ربنا يستر».

يااااه.. أي وجعٍ هذا؟!! وأي صدمةٍ هذه؟!! أن يستيقظ

حبيبك ناسيك ويتذكر حبيبه القديم!!

إن إنجي لم تتحمل صدمة كلام أمها حين قالت: «يا حبيبتي، لقد انفصلتِ عن سراج منذ ثلاث سنواتٍ»، لم تتحمل إنجي وانهارت عائدة لغيبوبة استمرت عشر ساعات.

* * *

يقول الراوي:

عندما أفاقت إنجي للمرة الأولى كانت فاقدة الذاكرة فقدًا جزئيًا، وتشخيص الأطباء بأنها حالة نفسية مشهورة اسمها «الاضطراب الانشقاقي»، حيث يفقد عقل المريض شخصًا أو علاقة إثر صدمة أو ضربة على رأسه، وأن النسيان ليس مقتصرًا على فترة معينة، بل مقتصر على شخص أو علاقة أو مرحلة في حياتها، بمعنى أنها الآن نسيت علاقتها العاطفية بمحمد، وتتذكره فقط حين كان مجرد زميل، وقد تتذكر كل الأحداث التي حدثت بعد خطبتها لكنها لن تتذكر عاطفتها مع محمد، وستتذكر المواقف التي كان بها أكثر من شخص مع محمد، لكن عقلها لن يستعيد وجوده في تلك المواقف، وبالتالي فإن المواقف التي تجمعها بمحمد غالبًا لن

تتذكرها بالجملة، أو قد يستبدل عقلها محمد بأي شخصٍ آخر وتحكي الموقف على أنه حدث مع غيره، وقد يستمر الوضع ساعات أو أيامًا أو سنين، وقد لا تعود الذاكرة كما كانت، ولا يوجد عقار طبي يساعد على شفائها، وحتى جلسات الطب النفسي ستكون مجرد فضفضة ليس لها علاج لحظي، قال الطبيب النفسي والأسى يملأ عينيه: «إياكم أن تواجهوها بما نسيته فهذا أسوأ ما قد تمر به، وستسوء حالتها أكثر أو أقل شيء لن تستعيد ذاكرتها، كل ما عليكم أن تشجعوها وتعطوها الثقة في نفسها وذاكرتها وتعاملوها على الأساس الذي تتخيله هي، حتى تتعافى أو تبقى كما هي للأبد، ولا تحاولوا التلميح لها بأنها فقدت ذاكرتها إلا إن سألت هي عن أشياء بعينها فجاوبوها مع تهوين الأمر، وبالتالي لا ترشدوها لزيارة طبيب نفسي إلا إن طلبت هي».

وعندما استشار أبوها الطبيب عن كيفية التعامل مع تذكرها حالها وقت خطبتها السابقة قال الطبيب: «قبل أن تفيق عليكم أن تحضروا خطيبها السابق، لا تخبروها بانفصالها عنه، حاولوا التواصل معه لتراه وتطمئن عليه، وبالتدريج يبدأ هو في الابتعاد عنها كأنه الفراق الأول»، ثم التفت الطبيب لمحمد قائلاً: «أعرف مدى صعوبة كلامي بالنسبة لك، لكنه الحل الوحيد إن أردتها أن تكون بخير، إياك

أن تفاجئها بالحقيقة حتى لا تتضاعف حالتها، يا محمد عليك أن توقعها في حبك من البداية بعد أن يفارقها سراج الذي تظنه خطيبها، وعليك أن تتقبل لو تغيرت معاييرها ورفضتك، وأكرر لو أنك حقًا تحبها فلا تخبرها بأي ذكرى بينكما طالما لم تتذكَرها هي».

يتنهد الراوي من صعوبة وقع الكلمات ثم يكمل: رأيت الأيام خجولة مما تحمله إلى محمد، رأيت المصائب تتباطأ في الإقدام إشفاقًا عليه، لقد نسيت إنجي حبها لمحمد، نسيت خطبتهما، تداخلت الأحداث بعقلها واستقرت في حبها الأول مع خطيبها السابق «سراج»، استقرت بوصلة ذاكرتها في الأيام التي كانت تتنفس حبه، ذات يوم كانت تركب معه السيارة وكانت أمه تجلس جواره وإنجي في الخلف، وبينما هم يتضاحكون انقلبت السيارة في حادثٍ مروع نتج عنه موت أم سراج وكسر في قدميه وجرح برأسه، وكانت الإصابة الأخف من نصيب إنجي، حيث كانت تجلس في الخلف فأصيبت بكدمات في جسدها وفقدت الوعي، وعندما أفاقت في المشفى وعلمت بما حدث دخلت في نوبة انهيار عصبي، وعندما تحسنت حالتها اهتمت برعاية خطيبها سراج وظلت تزوره شهورًا وهو راقد بالفراش مكسور القدمين والقلب، وعندما تعافى وعاد يمشي وهدأ حزنه على أمه تم

تحديد موعد الزفاف وبدأت التحضيرات، وعندما اقترب الموعد بأيام وتم تجهيز بيت الزوجية بالكامل فوجئت إنجي بسفر خطيبها سراج لسويسرا ثم تزوج بفتاة أجنبية، ثم عاد بعد سنة وقد انفصل عن السويسرية وبكل بجاحة طلب من إنجي أن تعفو عن جريمته، التي بررها بأنه كان مغصوبًا عليها بسبب احتياجه للمال، لقد كان وقحًا أكثر من اللازم.

يا هل ترى ما رد فعل سراج حين يعرف ما حدث الآن؟ وها قد تداخلت الأيام والذاكرة، وفقدت إنجي الوعي، أفاقت كما فقدت وعيها في الحادث مع خطيبها الأول «سراج».

ما أعجب أن تنسى عذاب عدوكَ لكَ فتستيقظ وأنت تتذكر أيام عشقه وتهفو إليه، ويالقسوة الحياة حين تجبرنا أن تكون أقصى درجات الحب هي أن نسلم أحباءنا للأعداء! إن الوقت الذي فقدت فيه إنجي الوعي فقد فيه محمد الواقع، فقد الحياة، وفقد نفسه قبل كل شيء، لك أن تتخيل كيف كان حاله وهو يبحث مع والد إنجي عن طريقة ليصلوا لسراج، بحثوا عنه في عنوانه القديم فوجدوه قد غادر المنطقة، ودلهم بعض الجيران على عنوانه الجديد، وعندما ذهبوا إليه لم يجدوه في البيت، فأخذوا رقم هاتفه من دكان أسفل العمارة، ولأن والد إنجي رجل أصيل فقد أعفى محمد

من لقاء سراج وطلب منه أن يعود لبيته كي يستريح، فعاد محمد لبيته، أغلق عينيه ولم ينم، واسترخى ولم يسترح، وكيف تأخذه سنة من النوم وهو في انتظار معرفة الجديد عن لقاء والد إنجي بسراج، وبقدر تمنيه إفاقة إنجي كان يتمنى ألا تفيق إلا بعد حضور سراج.

وعندما لم يستطع محمد النوم نهض وفتح الدولاب وأخرج منه الحقيبة الكبيرة التي أخذها بالأمس من إنجي وأخرج منها دمية كبيرة طولها يتجاوز نصف المتر، سمراء اللون ذات شعر أخضر، ويخرج من كل يد سيخ حديدي رفيع ينتهي بمقبض من الخشب (وهي نوع من الدمى يسمى «مابيت» وهو عكس الماريونيت من حيث التحريك، فالماريونيت يتحرك من الأعلى بخيوط، لكن المابيت يتحرك من الأسفل بأسياخ رفيعة)، تأمل محمد الدمية التي أسمتها إنجي (فلتة)، وقد ومضت ذاكرته بمشاهد مختلفة لإنجي وهي واضعة يدها في تجويفها وتحركها من الأسياخ من خلف ستار فتشعل المسرح بضحكات الأطفال، سالت دموع محمد وهو يتذكر أجمل أيامه، ثم وضع يده في تجويف فلتة مثل حبيبته، وعندما استنشق رائحتها فيه زاد بكاؤه واحتضنه وظلت ذكرياته تومض وتبكيه حتى نام.

(٣)

تعجّب سراج من اتصال والد إنجي به بعد مرور ثلاث سنوات على الانفصال، وتم اللقاء في أحد المقاهي، بدأ والد إنجي بترحيب مكسور ومجاملة مصطنعة، ثم حكى ما حدث فتبسم سراج بشماتة وهو يقول: «وماذا سأكسبَ إن قمت بأداء هذه التمثيلية؟»، فسأله الوالد: «ماذا تريد؟»، فأجاب:

- نتزوج.

- يا أستاذ سراج، إنها مخطوبة لشابٍ تحبه.

- محمد، هاها، من كان يظن أن تُحبه بطلة مثل إنجي؟

- إنه شاب محترم ولن أسمح لك بالتطاول عليه فهو مثل ابني.

- لكنها نسيته، وتتذكرني الآن، هذه فرصة لنصلح ما فات.

- هذه ليست مروءة، لا تستغل احتياجنا لمساعدتك في

موقفٍ ما تخيلناه يومًا، ومرضٍ لم نتخيله أيضًا.

- هل تفقدت جوالها وشاهدت الصور والرسائل؟

- بحثنا عن جوالها في كل مكان ولم نعثر عليه.

- أتريدونها أن تستيقظ فتجدني بجوارها في المستشفى؟

- غالبًا.

- ربما إنجي حنت لأيامي، فقامت بتأليف هذا الفيلم.

- بالفعل، ظروفنا تشبه الأفلام، ولو رأيتها في السينما سأتهم المؤلف بالخيال الزائد.

- لا يهم، نكمل قصتنا ونتزوج، أو تعتبرني دواء وتشتري مساعدتي.

- كم تريد؟

انتهى اللقاء بالاتفاق على مبلغ من المال، ليثبت سراج أنه

أوقح مما كانوا يظنون، ثم التقى والد إنجي بمحمد وأخبره بما حدث وأبدى والدها استياءه مما يتم تدبيره، وأنه لا يستوعب أن يترك ابنته تلتقي بالفاجر سراج، ولكن في نفس الوقت لا زالت ابنته فاقدة الوعي لمجرد إخبارها بانفصالها، إنه لأمر صعب على رجل شرقي أن يتحمل هذا الموقف وهو بين نارين، بين المطرقة والسندان، ولقد عرض والد إنجي على محمد أن يتخلى عن ابنته حتى تشفى لأنه لا يرضى لمحمد بأن يعيش تلك المأساة، ولكن محمد رفض رفضًا قاطعًا، فما كان له أن ينسى وعده حبيبته الموشوم فوق وريده، وحين قال أبوها «يا محمد إنها الآن لا تعرفك كخطيبها وحبيبها»، فأجاب محمد مندفعًا: «ولكني أعرف أنها حبيبتي».

ليلتها باتت إنجي في العناية المركزة، وهو قسم بالمستشفى ممنوع فيه المرافقون، وبات والد إنجي واضعًا رأسه بين ذراعي زوجته وقد عكس بياض شعريهما لون قلبيهما وهما يحملان هم محمد أكثر من ابنتهما، وللمرة الأولى ينتهي يوم محمد دون أن تسأله حبيبته «كيف كان يومك؟» منذ تقاربهما، واليوم يشهدُ لنفسه بالحياة عندما يحكي العاشقان أدق تفاصيلهما، بات وحيدًا لأنه لم يحكِ لها يومه، بات يحمل ضوضاء في عقله ولا يعرف كيف يصرفها،

بات يأمل أن تشفى حبيبته في الغد، وكانت الشماتة تتغلغل في أنفاس سراج في تلك الليلة وهو ينتظر إشارة والد إنجي له ليلتقي بها وتبدأ تمثيلية استعادة الذاكرة.

* * *

وفي بداية شروق اليوم التالي طرق محمد بيت إنجي، وبعد أن تناول الإفطار معهم كان الوالد مترددًا في منعه من المجيء للمستشفى فغالبًا سيأتي سراج، وكانت أم إنجي تعارض فكرة تنحية محمد من المشهد، وكلا وجهتي النظر لوالد إنجي ووالدتها تحمل الكثير من الخير، وبينما الحوار قائم قاطعهم اتصال الطبيب يخبرهم بإفاقة إنجي، لم يتنازل محمد ولم يستطيعوا إقناعه واتجهوا للمستشفى، ولم يخبروا سراج آملين أن تعود ذاكرتها بدون مساعدته، ولكن الخيبة كانت في انتظارهم، فقد كان أول سؤال من إنجي لهم «أين سراج؟ طمئنوني عليه؟ وكيف حال أمه؟»، كانت أسئلتها تؤكد وقوف ذاكرتها عند حادث السيارة فأجابتها الأم: «سراج بخير لكن أمه فاقدة الوعي ولم تفق مثلك، سيطمئن عليها ويأتي بعد قليل»، فقالت إنجي: «كم بقيت في الغيبوبة؟»، فلاحقها الأب وهو يربت على رأسها: «يومين، حمدًا لله على إفاقتك يا حبيبتي»، فأجابته إنجي:

«اتصلوا لي بسراج ليهدأ قلبي بصوته»، فقام الوالد لمهاتفة سراج، وبينما محمد يشاهد تمزيق حبه وذكرياته وإنجي متجاهلة النظر تجاهه ثم أشارت لأمها أن تميل عليها وهمست لها: «كيف سمحتم لزميلي بالدخول وأنا نائمة؟ هل جننتم؟»

لقد خرج محمد وجلس جوار باب الغرفة، ولم يمر وقت طويل وقد أقبل من بعيدٍ وهو يخلع نظارته السوداء ويقترب بخيلاء وغطرسة واحتقار لكل من حوله، إنه سراج، لمجرد أن لمحه محمد وقف ببطءٍ وهو يتأمله من قدميه حتى شعره، كانت صدمة جديدة، إنه «سراج الكاشف».. إنه السبب في تعارف محمد وإنجي؛ لأن سراج كان مديرًا لمسرح العرائس، وقد كان معجبًا بإنجي ويريد إيقاعها في شباكه، ولأن إنجي فنانة تحريك عرائس وأراجوز قام سراج بإنتاج مجموعة حفلات لأطفال المدارس على مسرحه وجعل أراجوز إنجي هو البطل، وهنا كان اللقاء الأول بين محمد وإنجي، كان لقاء زمالة عمل، وكانت علاقة سراج بدأت مع إنجي، وبعد شهرين تمت خطبتهما ولم يخرج الخبر خارج أسرتيهما، لم يعلناها في المسرح حيث كانا يخططان لمفاجأة الزملاء بدعوة حفل الزفاف، وبالتالي لم يعرف محمد بأمر خطبتهما حتى الآن.

لحظة.. نريد ترتيب الأحداث لندرك تعقيدها أكثر، سراج كان معجبًا بإنجي فاستدعاها لتقديم فن الأراجوز لحفلات أطفال، تقدم محمد لوظيفة في المسرح فكان التعارف بينه وبين إنجي، واستمرّا فترة زملاء بينهما السلام فقط، بعد شهرين كانت خطبة سراج وإنجي ولم يتم الإعلان عنها، واتفقا ألا يظهِرا علاقتهما أمام الزملاء حتى يمهدا للمفاجأة عند دعوتهم لحفل الزفاف، في هذه الأثناء بدأ محمد يميل لإنجي لكنها كانت تتجاهل اقترابه وتصده بلطف، مع أنه كان البطل الثاني أمام أراجوزها، ثم انقلبت سيارة سراج وتكسرت عظامة، وبعد أن تعافى سافر وترك إنجي بعد أن جهزا بيت الزوجية، أصابت إنجي عقدة من العلاقات العاطفية وفوبيا من تحديد مواعيد الارتباط الرسمي أو الزواج، بعد ثلاث سنوات صداقة بينها وبين محمد سيطر كل منهما على قلب الآخر حتى لانت ووافقت على الخطبة منذ شهور بسيطة.

ليت الأمور يقف تعقيدها هنا، بالرغم من أن علاقة محمد وإنجي كانت صداقة ومصارحة منذ سفر سراج وغدره، فقد أباحت لمحمد أن يتوغل في دهاليز حياتها ويطالع مخابئ أسرارها، فحكت له عن قصة حبها بشخص ما وأخبرته

بالتفاصيل وبمكنون المشاعر منذ البداية حتى سفره، لكنها لم تُخبره أن هذا الشخص هو «سراج»، مع أن سراج عاد بعد سنة من سفره وزواجه بالسويسرية، لكن إنجي لم تخبر محمد بأن سراج هو الخطيب السابق، لكن الأيام أفشت السر، الآن عرف محمد بعد أن فقدت إنجي ذاكرتها وفهم الكلمات المريبة التي قالها سراج لمحمد في اللقاءات المتقطعة التي جمعتهما منذ فترة قليلة بالصدفة، فحين قال سراج لمحمد منذ عام: «إياك أن تقترب من ممتلكاتي»، لقد فهم محمد أن سراج يقصد مجال حفلات الأطفال، ولكنه فهم الآن أن المقصد كانت إنجي.

وقف محمد تائهًا في ذكرياته، يشعر بالغربة، ولا يعرف لماذا أخفت عنه إنجي أن خطيبها السابق هو سراج، أحس محمد بالخيانة، وما أقسى الخيانة حين تكون من أقرب حبيب، وبينما يتذكر ويستجمع أطراف عقله ارتطم كتف سراج به وهو يبتسم أثناء دخول غرفة إنجي، فَخَرّ محمد جالسًا وهو يسمع صراخ الفرحة لإنجي وتهليلها لدخول سراج على قدمية معافى، ثم همس محمد لنفسه: «تُفيث واستوطن الأغراب في وطني»، ثم دفن وجهه في كفيه، فخرج والد إنجي ووقف بجواره يربث على كتفه، وما زال صوت التهليل والضحك آتيًا من الغرفة، فانتفض محمد

وغادر المستشفى، وبينما يعبر الطريق سمع من يناديه، فالتفت ليجدها مرام وهي صديقة إنجي منذ الطفولة ورفيقتها، خرجت من سيارتها وهي تقول: «كيف حال إنجي؟»

فأجابها وهو يضع يده على سيارتها:

- إنه سراج الكاشف.

- أتفهم أوجاعك وعدم استيعابك الصدمة.

- كاذبة، أنتِ رفيقتها في إخفاء السر عني.

- إنه السر الوحيد الذي أخفته إنجي عنك، وكانت تتعذب بسببه، وفي كل يومٍ تقرر أن تُخبرك فتتراجع.

- لماذا جعلتموه سرًا من الأساس؟

- حدث بالصدفة؛ لأن سراج وإنجي حين تمت خطبتهما اتفقا أن يجعلاها سرًا ليتفاجأ الزملاء عند إعلان الزفاف، وعندما سافر سراج وخانها واقتربت أنت منها، لم تتخيل أن

تتطور علاقتكما لأكثر من الصداقة، ففي البداية كانت فخورة بإخفائها أمر خطبتها من سراج، كانت فرِحة بأن أحدًا من الزملاء لم يعرف، وتعاملت كأن شيئًا لم يحدث، وعندما أحببتها أنت وبدأت في التلميح بمشاعرك وأنت تظن أنك تعرفها حق المعرفة، وقتها وقعت إنجي في فخ الخوف من فراقك لو أخبرتك بأن سراج هو خطيبها الذي خانها وسافر وحكت لك عنه كل شيء إلا اسمه؛ لأنك كنت موقنًا بأنك تعرف عنها كل شيء فحافظت على السر لتبقى غالية بعينك.

- تلك جريمة.

- لقد كانت تتعذب يوميًا، وفي الفترة الأخيرة قررت أن تخبرك حين تغلقان باب بيتكما بعد الزواج.

- لقد قتلني السر حين انكشف بعد أوانه.

- لقد كانت تحبك أكثر مما تتخيل، سامحها.

- كل ما أريده الآن أن أراها بخير.

- إياك أن تتخلى عنها.

- مهما أخطأت في حقي فهي لا تستحق التخلي عنها، ولديها في قلبي ما يجبرني على التسامح والعفو،

لقد عاهدتها أمام الله أن أبقى معها مهما كلفني الثمن، فاللهم أعني على الثمن.

كانت المبررات هشة وكان الوجع دسمًا، وأثناء كلام مرام كان محمد تائهًا بين قرار الفراق وبين وعوده لحبيبته، في لحظة ما قرر التخلي عنها لكنه خاف عليها أن تستيقظ فتتذكره ولا تجده، أحس بأنه سيخونها إن فارق، لقد أوجد في نفسه مبررات لأن يبقى معها، كان يتمنى أن يعنفها.. يعاتبها.. ولكنها لن تفهم.

* * *

وها قد أتت الليلة الثانية والعاشق لم يُجِب معشوقته سؤالها: «كيف كان يومك؟»، وعادت إنجي إلى بيتها مع أبويها، وحين حاول محمد فتح كلام معها لم تعطه فرصة أكثر مما كانت تعطيها له وقت زمالتهما، كانت تكتفي بالكلام الرسمي، وحين استلقى محمد على فراشه مستعدًا لاجتماع العمل في الصباح للإعلان عن الموظفين الذين تم تعيينهم،

كان قلقا ولا يجد حبيبته بصوتها الذي يضمه، حاول ساعات أن يجبر عينه على النوم، ولكن أصوات عقله كانت أعلى من إنذار الحريق، فأخرج الدمية «فلتة» وبدأ يحكي لها يومه، وبعد أن انتهى وجد أن الكلام ما زال يضغط على رأسه من الداخل فيكاد ينفجر، يريد أن يشكوها لها، يريد أن يشكو لها الأمس واليوم، وحين داهمه صوت الخاطر بشكوى الأمس وجد أن أوجاع اليوم بدأت تمحو أوجاع الأمس، لحظتها نهض وقرر أن يوثّق ما به، وأن يحكي لحبيبته ما فاتها حتى تعود، قرر أن يكتب لها كل يوم ويخبرها بحال يومه، حتى إذا استعادت ذاكرتها وجدت فضفضة حبيبها عن أيامه كما عودها، لقد كان وفيًا حد التضحية، فكان وجعه أعظم من الكلام، وحين تعاظم الوجع بدأت الكتابة.

أحضر دفترًا وفي الصفحة الأولى كتب «كيف كان يومك؟»، ثم كتب في السطر الثاني، «إلى التي أحبتني أكثر مما تمنيت، أما قبل فليس قبلكِ قبل، وأما بعد فليس بعدكِ بَعد، حبيبتي أشتاقكِ حد الوجع، أرجوكِ لا تغيبي إني أضيع إن تغيبي، يومي عذاب بدونك يا حبيبتي، تلك إجابة سؤالك الذي عودتِني عليه بموسيقية صوتك حين تقولين كيف كان يومك، لم تسأليني ولم أجِب، ولا أعرف متى تعودين لوعيك، لذا قررتُ ألا أقطع عادتنا، سأجيبكِ كل يومٍ على

كان قلقا ولا يجد حبيبته بصوتها الذي يضمه، حاول ساعات أن يجبر عينه على النوم، ولكن أصوات عقله كانت أعلى من إنذار الحريق، فأخرج الدمية «فلتة» وبدأ يحكي لها يومه، وبعد أن انتهى وجد أن الكلام ما زال يضغط على رأسه من الداخل فيكاد ينفجر، يريد أن يشكوها لها، يريد أن يشكو لها الأمس واليوم، وحين داهمه صوت الخاطر بشكوى الأمس وجد أن أوجاع اليوم بدأت تمحو أوجاع الأمس، لحظتها نهض وقرر أن يوثّق ما به، وأن يحكي لحبيبته ما فاتها حتى تعود، قرر أن يكتب لها كل يوم ويخبرها بحال يومه، حتى إذا استعادت ذاكرتها وجدت فضفضة حبيبها عن أيامه كما عودها، لقد كان وفيًا حد التضحية، فكان وجعه أعظم من الكلام، وحين تعاظم الوجع بدأت الكتابة.

أحضر دفترًا وفي الصفحة الأولى كتب «كيف كان يومك؟»، ثم كتب في السطر الثاني، «إلى التي أحبتني أكثر مما تمنيت، أما قبل فليس قبلكِ قبل، وأما بعد فليس بعدكِ بَعد، حبيبتي أشتاقكِ حد الوجع، أرجوكِ لا تغيبي إني أضيع إن تغيبي، يومي عذاب بدونك يا حبيبتي، تلك إجابة سؤالك الذي عودتِني عليه بموسيقية صوتك حين تقولين كيف كان يومك، لم تسأليني ولم أجِب، ولا أعرف متى تعودين لوعيك، لذا قررتُ ألا أقطع عادتنا، سأجيبكِ كل يومٍ على

سؤالكِ، ولن أقرأ ما سأكتبه لأنه ملكك أنتِ، نعم أيامي ملككِ يا ملكتي ومملكتي، أعدكِ بالمواظبة على حكاوينا حتى لا يفوتكِ شيء، ولكن لا تسخري من كتاباتي حين تعودين؛ فأنا لستُ كاتبًا ولا أعي من فنون الكتابة شيئًا، كل ما أعرفه هو وعدي الموشوم، لذا سأحكي بطبيعتي وأنا أسأل نفسي كيف لأجسادنا الصغيرة أن تخبئ هذا الكم الهائل من الحزن؟ ها هو اليوم الثاني يمر بدونك وبدوني، أحاول النوم متطلعًا لاجتماع الغد في العمل، وأعلم أنكِ لن تكوني في انتظاري لحظة خروجي من الشركة، أحاول النوم وتطاردني أفكاري بتفكيريك في سراج، ياااااه، لم أتخيل يومًا أن أكتب مذكراتي، ولم أتخيل أن تستشهد أمي بمثل ما قالته اليوم، لقد قالت: حين أصبتُ بالشلل في قدمي اليسرى لم يُشعرني أبوك بأني صرت أقل مما كنت عليه، بالعكس وكأن عجزي أضاف لي قدرات خارقة في نظره، ومع أنه كان أرحم الناس بي لكنه لم يلفت نظري لعجزي، لم يشعرني أنني عبء عليه، لقد رفع معنوياتي حتى آخر نفس تنفسه، يا محمد إن لم تكن مثل أبيك في معاملة حبيبتك فارحل، إن الرحيل أهون من أن يشعر حبيبك ببقائك مضطرًا ومشفقًا، إن لم يكن بقاؤك عن يقين فارحل، وكانت إجابتي على أمي بأن أظهرت لها وشمي، ولأول مرة أكتشف معنى الشجن في صوت أم كلثوم، ولا أعرف كيف لم تكن تطربني قبل غيابك، لقد كنت

أحب صوتها فقط لأنه يذكرني ببيتك، لكني الآن أرتمي بأحضان شجن صوتها، لقد صارت أم كلثوم صديقتي في غيابك، ها أنا أكتب على صوتها وهي تقول:

(يا ناسيني وأنت على بالي وخيالك ما يفارق عيني.. ريحني واعطف على حالي وارحمني من كتر ظنوني.. لا عينيا بيهواها النوم ولا باخطر على بالك يوم.. اسأل عني يا مسهرني.. اسأل عن اللي يقضي الليل بين الأمل وبين الذكرى).. تلك حكاية يومي يا بطلتي».

وفي نهاية الصفحة في الجانب الأيسر ترك توقيعه بكلمتين: الحبيب المنسي، ثم كتب التقويم.

* * *

في الصباح تم الإعلان عن قبوله في العمل، ولم تتوقف مأساة محمد عند كونه الحبيب المنسي، ولم تتوقف عن إحساسه بالوحدة لعدم مشاركة إنجي فرحته، فقرر أن يستأنس بها في أهم أماكن حبهما، إنها حديقة أم كلثوم القائمة على ضفاف النيل بحي المنيل، ولقد كانت إنجي تسمى تلك الحديقة «جنينتنا»، نسبتها لها ولحبيبها لكثرة

ذهابهما إليها، وها هو محمد يدخل الحديقة وحيدًا، وعندما اقترب من أحب الأماكن له، وجد إنجي تجلس مع سراج يتضاحكان، فتحجرت قدما محمد وصار مشتتا بين الإقدام والرجوع فلمحه سراج فناداه، وأشار له فكانت خطاوي محمد لوطنه المحتل أشد عذابًا من سلخ جلده، وعندما وقف أمامهما قال سراج: «كيف تأتي لحديقة العشاق وحدك؟»، فتصنع محمد الابتسامة وقال: «قريبًا ستعود الحقوق لأهلها»، فتبسم سراج بخبثٍ وقال بغمز: «كنت أتمنى أن ندعوك لشرب الشاي معنا، لكننا نتكلم في مواضيع خاصة».

انصرف محمد محرجًا في نظر إنجي، ويا ليتها تدرك انكساره، لكنها عنفت سراج على وقاحته في الكلام وقالت: «محمد زميل محترم ولا يصح أن تطرده بهذا الأسلوب»، فقال سراج: «لقد قصدتُ كل كلمة قلتها، لأن نظراته لجسدكِ مريبة»، فقالت إنجي: «لم ألحظ هذا، لكني متعجبة من تواجده الدائم ومحاولة التقرب لأسرتي، وكأن الحادثة أعطته حق التطفل، ربما يلتزم حدوده بسبب تعنيفك اليوم»، فأمسك سراج يدها وقال: «هذا ما أقصده يا حبيبتي، إنني أغار عليك»، فتبسمت إنجي وتاهت في عينيه وهي تقول: «أشتاق كوكبنا»، فرفع سراج يدها وقبلها فسألته: «أين

وشمك؟»

* * *

يقول الراوي: في مستهل الليل جلس الحبيب المنسي في غرفته مع دفتره «كيف كان يومك؟»، وبدأ يكتب:

—

«الآن أتفهم شعور أم النبي موسى حين راقبته وهو يكبر في قصر فرعون، يا حبيبتي إنني أتذكر أول مرة نذهب لحديقة أم كلثوم كان في اليوم التالي لسفر سراج، حين طلبتِ مني احتياجكِ للحكي، فكان اليوم الأول الحقيقي لقربنا وصداقتنا وصدمتي أيضًا؛ لأني لم أكن أعرف بأمر خطبتكِ فكنتُ أحبك منذ اللقاء الأول بالمسرح، وها أنا أهزَم من جديد في نفس المكان الذي استمعتُ فيه لهزيمتكِ مع سراج، ولم أكن أعرف أنه المحكي عنه، لكني اليوم أعرفه جيدًا وأتجرع أوجاع الماضي والحاضر فلا أستطيع التحمل.

بالمناسبة تحققت نبوءتكِ وتم قبولي في العمل، ووقعت عقدًا لمدة عام، يؤلمني أني بدونكِ، ولكن دعيني أخبركِ بأن الشركة تستحقُ أن يقال عنها عالمية، النظام والرفاهية شيء أساسي، ومن مميزاتهم أن العمل لا يقبل الروتين، لذا فإن

المواعيد متغيرة، ففي كل يوم خميس يوضع جدول الأسبوع، وكل أسبوع بمواعيد مختلفة، حتى الإجازات غير ثابتة، ففي كل أسبوع يومان متغيران، ومدة العمل اليومي ثماني ساعات ونصف، من بينها ساعة للراحة، ولكنها مقسمة على ثلاث فترات موزعة على مدار اليوم، مرة نصف ساعة والمرتان الأخريان ربع ساعة، بالمناسبة اليوم كان مجرد احتفال بالموظفين الجدد، لقد فرشوا المبنى بالبالونات وعلقوا الزينة وكانت الأغاني عالية في جميع الطوابق، ولقد سلموني سماعة خاصة بي للرد على اتصالات العملاء ومن الغد سنبدأ العمل، ومن أكثر ما أعجبني تخصيص أماكن للتدخين، وأنتِ تعلمين مدى كرهي لرائحة الدخان، ولأن القاعات مكيفة فالتدخين ممنوع فيها عكس المصالح الحكومية، حيث يدخن الموظف في أي مكان أثناء عمله.

ولأن نظافة دورات المياه من أهم الأشياء التي تلفت نظري عند الدخول لأي مكان فلقد أعجبتني النظافة بالشركة عمومًا، وبالنسبة لدورات المياه فهي بمستوى فندقي.

والأجمل أن الجميع متعاونون مع أن معظم الموظفين القدامى غير متفائلين، لكني موقن أنهم مقصرون، لذا لم يتم ترقيتهم لمناصب أعلى وبقوا في ساحة خدمة العملاء عبر

الهاتف، ولكني سأنتصر مثلما تقولين دائمًا وسأثبت كفاءتي وأترقى وسترافقين نجاحي، ولكن تذكريني أولاً، إنني أترقب مجيء النهار، فلقد قاطع كتابتي سراج وطلب مني أن نتقابل بعد العمل وحذرني ألا أخبر والدك أو أخبرك، لقد هددني بكِ، وإني أخاف عليكِ أو بالأدق لا أخاف على غيركِ، وإن تهديده أن يخبرك بكل الحقائق إن خالفت أمره، لذا سأنصاع لكلامه من أجل أن تتعافي، فلست قادرًا على دخولك غيبوبة لا أعرف متى تعودين منها، لا أحتمل تخيل فقدك لحظة رغم غيابك».

وكالعادة وقّع في نهاية الصفحة بكلمتي «الحبيب المنسي» والتقويم.

(٤)

في هذا اليوم، موعدٌ في جهنم.

«أهلا بكَ يا حبيب فتاتي»، هكذا افتتح سراج الكلام لمجرد أن وقف محمد جوار الكرسي في المقهى المتفق عليه، ثم نفث سراج دخان سيجارته وأكمل: «من كوميديا الأقدار أنني بعد أن نسيت إنجي وأيامي معها وتذوقت بعدها أصنافًا مختلفة من النساء، أهدتني الأيام ما حدث لترد لي حقي القديم»، تنفس محمد الصعداء وهو ما زال واقفًا، ثم نظر بعيدًا وعاد ببصره لسراج مستنكرًا:

- عن أي حقٍ تتحدث يا سراج؟

- حقي في أنني تمنيت أن أتزوج إنجي ذات يوم.

- ألست من غدر وسافر قبيل الزفاف؟

- كان يجب عليها أن تسامحني عندما عدت، كل البشر يخطئون، وها قد أتت فرصتي للانتقام منها ومنك.

- سراج، كن إنسانًا، ولا تكن من الجبارين.

- من مِنا جبار؟! ولأثبت لك أن إنسانيتي فياضة تابعني.

حاول سراج تقليد إنجي بصوتٍ أنثوي مستعار قائلا: «اجلس يا حبيبي محمد، هل ستظل واقفًا طيلة نقاشنا».

هنا انتبه محمد أنه ما زال واقفًا، فسحب الكرسي وجلس بهدوء وهو يتمتم: «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»، فلاحقه سراج مثل قوادة وجدت ثغرة في كلام شخصٍ خلوق، وقال: «فعلا أنت من الظالمين، لقد استغللت نزوتي البسيطة وتقربت منها لتسرقها مني فور سفري»، رمقه محمد بنظرة شرسة ومن فرط انكساره ابتسم قائلا: «إنه دعاء نبي الله يونس حين كان في أكبر ابتلاء ببطن الحوت»، ثم كرر الدعاء وسراج يهز رأسه استهتارًا به، ثم رفع السيجارة في مستوى فمه ونفث الدخان على شعلتها وهو يتأمل جمرتها تزداد احمرارًا وقال: «أمتع من التدخين هو أن تنفث الدخان في النار، ومهما حاولت أن تدعي الإيمان بالقدر خيره وشره، ومهما حاولت أن تدعي التماسك يا محمد أعلم أنك تحترق وأنا شمتان بك».

- أتعرف يا سراج عندما...

- قبل أن تكمل حتى لا تتهمني بالبخل، أخبرني أتريد أن تشرب الشاي أم شيئًا آخر؟

- شكرًا لا أريد، تكفي المياه.

- لدينا كلام كثير لن ترويه المياه وحدها، عموما سأطلب لي شايًا بالقرنفل كما تحبه وسأطلب لك.

كان في كلمة «قرنفل» غمزة من سراج تشي بكيد، وبعد أن طلب من النادل كوبين من الشاي ومحمد صامت يخط بإصبعه على المنضدة، فقاطعه سراج: «مؤخرًا اكتشفت روعة مذاق القرنفل في الشاي حين أعدته لي إنجي بعد غداء الأمس، وكانت تخاطبني على أنه أحد مشروباتي المفضلة، ففهمتُ أنه مشروبك المفضل، والأجمل أنها تحكي ذكرياتها معكَ على أنها كانت معي، حتى هداياك، وأماكنكما المفضلة، وأغانيكما، ومشروباتكما، ماذا تسمي ما يحدث؟» لم يرفع محمد عينه عن المنضده وأكمل بإصبعه التخطيط عليها وهو يخطط ويقول: «ابتلاء»، فلاحقه سراج: «بل هو رد المظالم، حتى لو لمدة يوم واحد»، فرفع محمد عينه

مندهشًا من فرط انسحاب المنطق وقال:

- ما أصعب توضيح الواضح، وما أقسى أن يتكلم السفاح بلهجة الضحية.

- مؤلم أن يسرق أحد ذكرياتك، لا أخفيكَ سرًا أنا معجب بكثير من ذكرياتك التي صارت ملكي،

صحيح بمناسبة الذكريات، لقد سألتني حبيبتك عن الوشم الموجود على يدي.

- وماذا قلت لها؟

- يا محمد كيف أجيبها عن شيء لا أعرفه؟ لكني سأعرفه الآن منك، ولقد أقنعتها أنني أجهز مفاجأة لذا أخفيت الوشم، أريد أن أفهم منك لأجيبها.

عَضّ محمد شفته السفلى وهو يسحب نفسًا طويلا ويقبض كفه بكل غليل يملكه حتى كادت أعصابه أن تتفتك لفرط كبته غضبه، ثم أفرج عن شفته قائلا: «لا يهمك معرفة قصة وشمي، أخشى أن ينفد صبري عليك»، لحظتها اقترب

النادل يضع أكواب الشاي والمياه فقال سراج: «فعلا أنت لست مجبرًا على تحملي، وإن أردت أن ندفع الحساب ونغادر دون شرب الشاي فلن أمنعك، لكنك أيضًا لن تمنعني من إخبار إنجي بكل شيء ونشاهدها جميعًا وهي تواجه الواقع بذاكرتها الممسوخة، باختصار إحكِ لي أو أحكي لها»

شَمّرَ محمد قميصه مجبرًا فظهر الوشم، وبرز في جانب جبهته عرق زجزاجي على وشك الانفجار، ثم قال: «من بعد سفرك وخيانتك فقدت إنجي الثقة في الرجال حتى في أخيها وأبيها، وصارت تصيبها نوبات صرع كلما تقدم شاب لخطبتها، لذا حافظت على صداقتنا دون إظهار حبي لها حتى اطمأنت لي وأحبتني تحت مسمى الأخوة، وعندما لانت بعد سنين واستطعتُ مفاتحتها في الارتباط عادت لها فوبيا الخوف من تحديد مواعيد الارتباط مع صراحتها التامة بأنها تحبني وتتمنى أن نتزوج، لكنها لم تستطع تخطي خوفها، فكانت في حالة توتر دائم حتى تمت خطبتنا فهدأت قليلًا، لكن بين وقتٍ وآخر كانت تنتابها حالات انهيار وتتهمني بأنني سأتركها وأرحل ولن أفي بعهد البقاء، وعندما أهدئها تتهمني بأنني لن أصبر على نوبات صرعها، وكنت دائمًا أكرر لها «سأبقى معكِ» فتقول هي «قُل: مهما كلفني الثمن»، فأقول «مهما كلفني الثمن»، ولأنها كانت تنسى هذا العهد

عندما ينتابها الصرع اتفقنا أن نصنع وشمًا تراه طوال الوقت لكنها أحبت أن يكون كلامي على يدها وكلامها على يدي وقد كان، وشمنا فوق وريدي «مهما كلفني الثمن» ووشمنا فوق وريدها «سأبقى معك»، فإذا تشابكت أيادينا اكتملت جملتنا، وإذا ابتعدنا وجد كلٌ منا كلام الآخر فوق وريده»، كان سراج يرفع كوب الشاي لفمه ببطء يتأمل الكلام ثم توقف ووضع الكوب دون شرب وقال:

- لماذا صبرت على صعوبات حبها؟

- لأني رجل، وهي تستحق التضحية.

- هذا الوشم يخصني.

- نعم؟

- إياك أن تراه إنجي في يدك الفترة القادمة، لا تظهره أمامها مهما كلفك الثمن يا عسل أنت يا حلو.

- الله يكفينا شرك.

- أخبرني يا محمد ما الذي تتمناه الآن؟

- أتمنى أن تتعافى حبيبتي، أن تعود طبيعية حتى لو لم تُحبني.

- ياااه .. ألا تتمنى أن تتذكر حبكما وتتزوجا؟

- لا أخاف الفراق بقدر خوفي أن تسوء حالتها، أتمنى أن أراها بخير.

عقد سراج حاجبيه ثم شبك أصابعه وفرد ظهره لآخر مستوى بالكرسي قائلا: «لنتكلم في الأمور المهمة، لقد نسيت إنجي أنها محركة أراجوزات وعرائس وحاولت أن أذكرها بكل شيء لكني فشلت، فتفكرتُ في الأمر فوجدت فيه خيرًا كثيرًا، سنبدأ تعليمها تحريك العرائس، أو بالأدق ستقوم بتعليمها تحت إشرافي ثم نجهز حفلاً عما قريب»، فانتفض محمد وتحركت يده بإشارة تهديد مع أنه يقول: «سراج، لقد استعنّا بكَ وأعطيناك المال الذي طلبته»، ليزداد برود سراج ببسمة سامة: «أعطيتموني حقي لا أكثر».

لم يتمالك محمد نفسه وضرب المنضدة بقبضته فسقط

كوب الشاي وتهشم على الأرض، لكن محمد أكمل بنبرة تحذيرية مع أن كلامه يحاول ترقيق قلب خصمه قائلا: «لنفترض أن المال حقك، فلماذا تتلاعب بنا؟ بالله عليك افعل خيرًا، إنك الملجأ الوحيد لشفاء إنجي فحاول أن تنهي علاقتها بكَ، ربما تتذكرحقيقتها، لكن أفعالك هذه ستزيد ذاكرتها تدهورًا».

وقف سراج وأخرج سيجارة، وقبل أن يشعلها قال بنبرة قرار قاطع: «سأرتب مواعيدي وأبلغك بميعاد البدء في تدريبك إنجي على تحريك العرائس»، ثم أشعل السيجارة فانطفأت نار محمد تدريجيًا لإنقاذ ما يمكن إنقاذه فقال بلطف: «بالله عليك، أرجوك، حاول أن تذكرها باحترافها التحريك، حاول أن تساعدنا في علاجها» فأجابه سراج:

- من مصلحتي أن تتذكر براعتها في حفلات الأطفال لأنني سأكسب كثيرًا من المال من حفلاتها،

ولكنه إن حاولت تذكيرها بفنها وعادت طبيعية من يضمن لي ألا تتذكرك وتتذكر حبها لك؟

- الأكيد أننا في وضعٍ مؤقت، ولو تذكرت بعد أن أفسدت

لها ترتيب ذكرياتها ستكرهك أكثر وربما نفقدها جميعًا عندما تصدم في كل شيء، والأكيد سأسجن بسبب قتلك.

- الأهم أنني مستمتع بما يحدث حتى لو لمدة ساعة واحدة، وأكرر أرأيت عدالة الأيام في إرجاع الحقوق؟!

- كيف تنافق نفسك فترى الشر خيرًا؟! من أين تأتي بهذا اليقين المدنس؟!

يقول الراوي: انتهى اللقاء وبدأت ألوان جديدة للعذاب زادت محمد بكاءً في صلاته ومناجاة ربه، وقبيل النوم استفرد محمد بدفتر مذكراته وبدأ يكتب..

«في البداية ألف لعنة على البُعد والمسافات والأماكن التي لا تجمعنا، أما حكاية يومي يا حبيبتي فبدأت بنزولي أرض المعركة، إنها ساحة خدمة العملاء أو بالأدق جيش خدمة العملاء، حيث يتكون الطابق من أربع قاعات بكل قاعة أكثر من خمسمائة كمبيوتر يفصلها عن بعضها سور يكفي لاختباء الموظف فيه حيث يحيطه من ثلاث جهات، أشعر بفقد رأسي لشدة الصداع النصفي من صراخ العملاء طوال اليوم وارتداء السماعات يفقد الأذن توازنها، إنه يوم صعب، مدمر

للأعصاب، مهين، رغم أنه على مدار شهر كنا نتدرب على تقبل مشكلات العملاء وتحويل غضبهم لسعادة ورضا عن الشركة، ولكن التطبيق بعيد كل البعد عن التدريب، وكأننا نستقبل مكالمات من المجانين، الجميع يصرخ ويلعن ويتهمنا بالسرقة، ومطالب مني طوال الوقت أن أتظاهر بالابتسامة وبهدوء الصوت، أحسست بانعدام كرامتي ولكني كنت أحاول تذكيري بالتدريب بأن العميل لا يعرفني شخصيًا وبالتالي فلا يقصد شتمي بالاسم، لقد استقبلت اليوم خمسًا وثلاثين مكالمة، ربما تكون خمس مكالمات لأشخاص محترمين والباقي لمجانين أو زومبي، أما بالنسبة لفترات الراحة فقلد ضاعت، ودائما تأتي مكالمة قبيل وقت الراحة بدقيقة أو اثنتين وتنتهي في منتصف راحتي، وواجب عليَّ أن أعود لاستقبال المكالمات في نفس وقت انتهاء الراحة، ومن يتأخر يؤثر ذلك على كفاءة عمله وبالتالي راتبه، ومن المضحك أنني استقبلت مكالمة أحد العملاء، وعندما سألته عن استفساره أخبرني أنه اشترى عشرة كروت شحن رصيد ثم قال:

- لقد شحنت ثمانية كروت وأريد معرفة عدد الكروت التي لم يتم شحنها.

- من المؤكد كارتان.

- أخبرني بهما.

- إنهما في يد حضرتك، فكيف لا تعرفهما؟

- لقد تداخلت الكروت ولم أعد أفرق بين ما تم شحنه وما لم يتم شحنه.

- ما تم شحنه هو ما قمت بخدشه، وما لم يخدش لم يتم شحنه.

- لقد خدشت جميع الكروت قبل الشحن ثم بدأت بشحن واحد تلو الآخر.

- خدشتهم جميعهم؟

- ما العجب في ذلك يا حضرة؟؟

- من فضلك أعطني رقم كل كارت وأخبرك بما تم شحنه.

وبدأت في تلقي أرقام الكروت من العميل، أخذت أرقام ثلاثة كروت ومع كل كارت أخبره أنه تم شحنه، ثم أتى رقم كارتين لم يتم شحنهما فأخبرته، وظننت أن المكالمة ستنتهي لكنه لم يثق في كلامي بأن الكروت الخمسة الباقية تم شحنها، فحاولت إفهامه بالمنطق بأنه في بداية المكالمة أخبرني بشحن ثمانية كروت من أصل عشرة، وطالما أخبرته برقم كارتين لم يتم شحنهما فهذا يدل على أن باقي الكروت تم شحنها، لقد مضى أكثر من دقيقتين في محاولة إقناعه بذلك ولكنه أصر، فجاريت تفكيره وأخذت باقي أرقام الكروت وبالفعل أخبرته أنه تم شحنها، وقتها صدقني، لا لا لا.. لم تنتهِ المكالمة، لقد أخبرني العميل بأن الكروت تداخلت ولم يعد يستطيع التفريق بين ما تم شحنه وما لم يتم شحنه، فبدأت معه من الأول ولكن بنبرة صوت غاضبة، وأجبرته أن يمزق الكارت الذي أخبره بتمام شحنه، وبعد الانتهاء وصفني العميل بأنني بطيء الفهم.

يا ست البنات، رغم أني جالس طوال فترة العمل لكن الضغط العصبي والنفسي أكبر مما توقعت، ولأن بعد نهاية كل مكالمة يتم الاتصال بالعميل لتقييم مستوى الخدمة ولتقييم الشركة وممثل خدمة العملاء، فنطالب أن ننحني للعميل مهما كان منحطًا لنحظى بتقييم كبير، بالمناسبة

درجة التقييم من عشرة، ومقسمة لثلاث درجات؛ من ١ إلى ٦ تعني غضب العميل وتسمى ديتراكتور وتساوي صفر، ومن ٧ إلى٨ تعنى التوسط وتسمى نايتورال، أما من ٩ إلى عشرة فتعني رضا العميل وترشيحه الشركة لمعارفه وتسمى بروموتر، والغريب أن المكالمة إن أخذت تقييم ديتراكتور فإنها تحتسب بسالب أربعة، أي أنه ببساطة المكالمة الديتراكتور تُمحى أربعة مكالمات بروموتر، وأساس التقييم هو جزء الشركة فلو أعطى العميل صفر لموظف خدمة العملاء وتسعة للشركة فهذا يعني تفوق الموظف، أما لو أعطى العميل درجة صغيرة للشركة وأعطى الموظف العشرة كاملة فهذا يعني فشل الموظف، ومعظم العملاء تعطي صفر للشركة لذا فإن الموظف مطلوب منه أن يكون متوسط مجموع مكالماته ٥٥٪ وهذا أمر صعب ومرهق ومذل.

غالبًا الأمر صعب لأنني في البداية، وسأعافر حتى أحترف لأجمع المال لإقامة بيتنا، بالمناسبة اليوم قابلتُ سراج وسألني عن الوشم، وكانت شماتته فيَّ تفوق فرحة إبليس بإنزاله آدم من الجنة، وأنا الآن في انتظار تحديده ميعاد البدء لإعادة تعليمك فنك الذي تعلمته منك».

وبعد أن انتهى محمد من كتابة يومه قطع الورقة من

الدفتر ووضعها في مظروف وأغلقة جيدًا، لقد قرر أن يضع كل يوم في مظروف منفصل وخصص صندوقًا للجوابات حتى لا يراجع ما كتبه ولا يفتحه إلا مع حبيبته عندما تتذكره.

(٥)

كانت طعنات الوقت بطيئة في انتظار أن يقرر سراج بداية التدريب، وأخيرًا بعد أيام قليلة قرر أن يبدأ. وفي ليلة اللقاء لم ينم محمد متطلعًا لأسرار الغد، وحين قام يكتب لم يجد ما يعبر عن حاله سوى جزء من أغنية أم كلثوم فكتب:

«أغدًا ألقاك؟ يا خوف فؤادي من غدٍ.. يالشوقي واحتراقي في انتظار الموعدِ

آه، كم أخشى غدي هذا وأرجوه اقترابا.. كنت أستدنيه لكن هبته لما أهابَ وأهلّت فرحة القرب به حين استجابَ.. هكذا أحتمل العمر نعيمًا وعذابا»

ثم وقع الرسالة بالحبيب المنسي.

وعن أول لقاء في المسرح، راقب محمد حبيبته حتى وصلت ثم انتظر بعض الوقت ودخل بعدها مهزومًا يحاول التبسم فيزداد انكسارًا، وبيده حقيبة كبيرة فيها الدمية «فلتة»، لمجرد أن أخرجه فرحت به إنجي وأبدت إعجابها

بطفولة، ومن داخله ابتسم محمد لمشاهد «فلتة» وما حمله من ذكريات حبهما، إنها نفس فرحة إنجي عندما اشتراه لها بعد أن سافر سراج وترك المسرح، وكانت إنجي قد تعلقت بهذا الأراجوز فحاول محمد شراءه من إدراة المسرح، لكنهم ساوموه، فقد صار للأراجوز جمهور كبير بين الأطفال، وبالتالي فثمنه ليس مقصورًا على كونه دمية مصنوعة من القماش والإسفنج، ولم يكن محمد وقتها يملك المبلغ الكبير الذي ساوموه عليه، فغاب فترة تخطت العام وهو يجمع المال ويعمل ليل نهار ليشتري الأراجوز لحبيبته، وعندما اشتراه ودخل عليها به في عيد ميلادها كانت فرحتها مطابقة لفرحتها الآن، فمن يداوي القلب الحزين؟ حتى الحقيبة التي تحوي «فلتة» اشترياها معًا، وها هي إنجي معجبة بالرسوم الموجودة عليها فتزيد سحق محمد، وبرغم كل هذا الألم يرى فيها الأمل.

«أضعت كثيرًا من الوقت يا سي محمد، هيا أبدأ تدريبك»، هكذا قاطع سراج الجميع وانتشل إنجي من نشوتها بالأراجوز فقالت: «محمد لم يضيّع الوقت، أنا فرحة بهذه العروسة، أشعر بألفة معه، هيا يا محمد إنني مشتاقة لتعلم هذا الفن الوهمي»، هز محمد رأسه ليخفي رعشته وغصب شفتيه على التبسم ليمنع دموعه، وهَمَّ بالكلام فقاطعه سراج

قائلاً: «قبل أن تبدأ، بعد إذنك التقط لي صورة مع حبيبتي والأراجوز»، ثم شَمَّرَ سراج قميصه فظهر وشم مطابق لوشم محمد، فجحظت عينا محمد وتحجرت أنامله وهو يرى تاريخه يُسرق أمام عينيه وإنجي تبتسم بخجل وتُخبئ فمها بيدها ثم قالت: «وشم حبنا، كيف أخفيته في لقائنا السابق؟»، فأجابها سراج «كانت خدعة بالمكياج» احتضنت الوشم بيديها وقالت «مزحة سخيفة، لقد اشتقته»، غمز سراج لمحمد وهو يقول «بعد إذنك صورنا».

أي قهرٍ هذا الذي يحدث لمحمد؟! لقد رأى يد حبيبته تتشابك مع يد سفاح القلوب وسارق العمر، صورة لإنجي وسراج يمسكان فلتة ويداهما متشابكتان وقد كشف كل منهما وشمه، ولمجرد أن أنهى محمد التصوير ركض لدورة المياه، أغلق الباب على نفسه وظل يبكي بنحيبٍ وهو ينظر لوشمه، وبعد فترة لا يعرف حسابها حاول أن يتمالك نفسه وغسل رأسه ثم خرج لهما هو يسترجع كلام إنجي له في أيامهما الأولى وهي تتكلم بطاقة مبهجة عن فن الأراجوز، قال محمد: «يبدأ تحريك الأراجوز بروحه، حيث إننا نستجمع ما نود قوله ونحدد من نريدهم أن يتفاعلوا معنا، ونغوص في المعاني التي حددناها، فإذا دخلنا تلك الحالة – وما أصعب الدخول إليها! – وقتها يسهل علينا استرسال

الكلمات على طبقة صوتٍ تناسب الشخصية التي اخترناها، وأيضًا علينا أن نتأمل ملامح الأراجوز ونحدد هل نريد الناس أن تتعاطف معه أو تسخر منه أو تكرهه، حتى نتمكن من اختيار نبرة صوت تشعل مشاعر الجمهور تجاهه، فمثلا إن أردنا الجمهور أن يسخر منه وكان حجم الأراجوز كبيرًا وملامحه خشنة جادة فعلينا أن نختار نبرة صوت رفيعة تظهِر الحماقة مما يجبر على الضحك والسخرية».

كانت إنجي فاغرة فاهها انبهارًا بكلام محمد وحماسه، ذلك الكلام الذي قالته له يومًا ما بنفس الأداء، ثم أخرج لها هاتفه وشغل لها بعض أصواتها الكارتونية التي كانت تستخدمها مع الأطفال على أساس أنها أصوات آخرين لتحاول تقليدها، لقد أعجبت بأدائها الذي لا تعرف أنه لها، ومدحت الأصوات وتمنت أن تقلدها بحذافيرها، بدأ الأمر صعبًا لكنها وهبت وقتها للتعلم لإرضاء سراج، فصار يومها بالكامل للتدريب حتى استطاعت أن تقلد نفسها، وتدريجيًا بدأت يدها تلين في تحريك الأراجوز حتى صارت متمكنة في بضعة أيام من أجل حبها لسراج.

وفي هذا يقول الراوي: أسرع إنجاز يحدث بدافع الحب أو الخوف.

ويقول الرواي أيضًا: إن صراع الملوك على العروش أهون من صراع رجلين على قلب امرأة، ولقد كانت المبارزة بين عيون محمد وسراج طوال الوقت عنيفة حد الشرر، وكان انكسار محمد يفوق شماتة سراج.

وكان للورق نصيب من حكاوي محمد، حيث كتب عن أول لقاء: «مازلت أستيقظ لأستقبل يومًا جديدًا أسعى فيه لتجهيز بيتنا، وما زلت أجاهد عقلك ربما يتذكرني، ولكني اليوم كنت أضعف من الأيام السابقة، أو ربما من كثرة تحملي أوهنتني فصرت هشًا، وكيف لي أن أتحمل نفسي وأنا أعلمك فنك الذي لم يستطع أحد مجاراتكِ فيه؟ إنني أعلمك نفسك القديمة وأفقد نفسي، وأنتِ منبهرة بأدائكِ لأصوات الكارتون الذي لا تعرفين أنه كان لكِ ذات يوم، ولقد سرق سراج عهدي وقلّد وشمي، ولقد خانني عقلك فبدل صورتي بصورة سراج وصارت كل ذكرياتي ملكًا له، إنني أتمنى الغوص في عقلك وفهم كيف تم هذا التبديل الذي فاق أفلام الهنود، أحيانًا أنتظر أن يوقظني أحد، فمن المؤكد أننا في حلم أو ربما أضغاث أيام».

* * *

وذات يوم كتب محمد: «إن سعادتي اليوم كبيرة لأنكِ بدأتِ تتقنين فن الأراجوز، لقد كان تعلمكِ أسرع من أي شخصٍ طبيعي، ربما يجدر بي أن أكتب تذكرك وليس تعلمك، ما يهم أنكِ أوشكتِ على الاحتراف، ولكن لإرضاء سراج، وهذا أمر لو تدركين عظيم، ومن عظمة هذا اليوم أيضًا أن أحد العملاء شكرني وكان مبتسمًا طوال المكالمة دون أن أبذل مجهودًا بهلوانيًا، وقبل أن ينهي المكالمة تمنى أن يكون جميع موظفي خدمة العملاء مثلي وشكر في أسلوب كلامي، وقال إنني واجهة مشرفة تصلح لشركة بحجم شركة عالمية مثل شركتنا، وبمناسبة هذا اليوم الاستثنائي دعيني أعترف لكِ.. يا حبيبتي نادرة أنتِ كعميل شكر موظف خدمة العملاء في نهاية المكالمة».

وذات يومٍ آخر كتب: «لا جديد اليوم، كالعادة صراعاتي مع العملاء ولكني بعد إنهاء العمل جاءني اتصال من أصدقائي يسبونني لتجاهل اتصالاتهم وعدم السؤال عنهم أو التجمع في موعدنا الأسبوعي على المقهى، لقد وجدتني نسيت كل شيء منذ نسيانك لي، وجدت أنه لم يعد في يومي غيرك والعمل، وما دام العمل من أجل بيتنا فهذا دليل أن يومي كله صار لكِ، وياليتني لم أذهب إلى المقهى، لقد كنت غريبًا بين رفاقي، صامتًا لا أتكلم، أغيب عنهم فأفيق على ضحكاتهم

لموقفٍ قاله أحدهم، لقد فقدت الواقع يا إنجي وكأن واقعي هو وجودي في ذاكرتك، وحين غِبث عن ذاكرتك غاب الواقع عني، يااه كدت أنهي رسالة اليوم دون إخبارِكِ بأني اعتدت اعوجاج لساني بالمصطلحات العجيبة في مهنتي، فنحن نقول على المكالمة «كولة» وهي مشتقة من call، ونقول على قاعة العمل «فلور» عن كلمة floor، وحين نبدأ العمل أو نعود من فترة الراحة ونبدأ فتح الأجهزة نقول «نلوج» وهي مشتقة من log in، أما وقت الراحة فنقوله «بريك» من break.

ولا نقول إننا سنعود من البريك بل نقول «نباك» من كلمة back، والشباب المدخنون حين يذهبون لغرفة التدخين يقولون «هَنِسمُوك» من كلمة smoking، ولأن من خواص العمل حق الموظف في تبديل موعد عمله مع موظف آخر فنقول على تبديل الموعد «نسواب» من كلمة swap shift، وعند أي اجتماع نقول «هنميتنج» من كلمة meating، ونقول على العميل المحتال «عميل سيكر» من كلمة seeker، وسأحدثك عن «الإسبوك»، من أهم المهمات في وظيفتنا هم الأشخاص المسؤولون عن قيادة الموظفين، وهو مكان يتبدل يوميًا بين الموظفين، حيث يقومون بمتابعة عدد مكالمات العملاء وعدد الموظفين ويظهر أمامهم

على الشاشة أي الموظفين معه مكالمة وأيهم على وضع عدم الاستعداد، وهذه أهم نقطة، فمن يزيد عن دقيقتين أو ثلاثة في وضع عدم الاستعداد يتم مناداته في الفلور ليعود لوضع الاستعداد ready ويستقبل المكالمات، ولو اتضح أن معه مشكلة يحاول حلها هنا تظهر وظيفة الإسبوك، حيث يقوم أفراده بمساعدة الموظف لتسهيل المشكلة، وغالبًا تكون مشكلة بسيطة متكررة، وهذا ما لفت انتباهي أن أفراد الإسبوك يسهل عليهم وضع الحلول لأنهم خارج المشكلة، وعندما تتبدل الأدوار في اليوم التالي ويوضعون تحت ضغط مواجهة العميل فيصبحون جزءًا من المشكلة، وقتها يستعينون بالموظف الذي ساعدوه بالأمس، إن حل أي مشكلة سهل طالما لست جزءًا منها».

والتوقيع لا يتغير: الحبيب المنسي.

في هذا اليوم بعد أن أغلق المظروف على الورقة ووضعها في الصندوق لم يتمالك منع نفسه من الاتصال بإنجي، فلم ترد على اتصاله فكرر الاتصال عدة مرات وهي تلغي الاتصال، وفي اليوم التالي بعد أن أنهى محمد عمله وذهب إلى البروفة، وعندما دخل وجد إنجي بصحبة سراج في المسرح يتدربان على أحد المشاهد، فجلس محمد في الصف

الأول يتابع براعة إنجي في المشهد، وعندما انتهت صفق سراج، أما محمد فقد رسمت هزيمته ابتسامة جافة، وقال سراج «بعد إذنك يا محمد لا تكرر اتصالك بإنجي بعد العاشرة مساءً، إن خطيبتي مستاءة من اتصالك منتصف الليل، ولو أن ضرورة العمل ألحت عليك فيما بعد فعليك أن تهاتفني، أم أنك نسيت أنها خطيبتي وأنا مدير أعمالها أيضًا؟!».

ورغم أن إنجي هي السبب في ذلك لكن قلبها أوجعها من صمت محمد وانسحابه من القاعة، وعندما جلست إنجي مع صديقتها مرام قالت: «لا أعرف ما في قلبي لمحمد، أشعر بشيء لا أعرفه، وكأنه شيئًا أقدم من الروح، مع أني أحب سراج ولا أطيق أن يتجاوز محمد حدوده، لكن في نفس الوقت لا أطيق أن أراه مقهورًا وكأنه ابني، لدرجة أنني سأطلب من سراج أن ينهي تعاملنا معه حتى لا أراه نهائيًا، فكيف لي أن يلين قلبي لرجل وأنا على اسم رجل آخر؟ حتى لو كانت مشاعر أخوة فسراج يُخبرني دائمًا بأن نظرات محمد لي مريبة، لا أعرف لماذا يحبه أبي ويراه محترمًا؟».

وعن تلك الليلة كانت رسالة محمد عتابًا بصوت أم كلثوم، فكتب:

«خاصمتك بيني وبين روحي وصالحتك وخاصمتك تاني

وأقول أبعد يصعب على روحي تطاوعني فيزيد حرماني».

(٦)

كان الله في عون السرير حين يتشبع بدموعنا في صمت ويسمع الأنين المكتوب أسفل الوسادة، لقد امتلأ السرير بالبقع من آثار الدموع المنهمرة من محمد يوميًا بعد عودته من تدريب إنجي، مثلما تشبعت أوراقه بحكايات تنتظر أن تقرأها حبيبته، وامتلأ نصف الصندوق برسائل تنتظر الإرسال، لقد جعله العشق شاحب الوجه هزيل الجسد غير متزن في كلامه، وكلامه هو رأس ماله ومهنته، لقد صار متلعثمًا مع العملاء بطيء الكلام بعد أن كان طلق اللسان سريع البديهة، وبعد أن كانت مديرته تسند له أصعب مشكلات العملاء المتحذلقين صارت تنحيه جانبًا كي لا يخرب العمل، وبعد محاولات المديرة معه في تجنيبه التعامل مع العملاء أجبرته على أخذ إجازة بضعة أيام ليهدأ من السبب الذي لا تعرفه ولا تجد مبررًا لتدهور حاله.

ومع أن الحزن يُحب الأوفياء الذين يمنحونه بعض وقتهم برضاهم قبل أن يسلبه منهم بعنفوانٍ موجع، لكن ما أصعب أن يتأقلم الحزن على ملامحك، ولقد بدأت عيون محمد في التأقلم على رؤية إنجي وسراج معًا، لكن قلبه لم يستسلم

لحظة رغم الوجع، وأثناء التوقيت اليومي لبكاء محمد في سريره بعد أن حكى يومه ووضع الجواب في الصندوق، استلقى ينظر للوعد الموشوم على يده، وبين شهقات نحيبه نضجت شرور النفس البشرية وأضاءت فكرة في رأسه بأن يستعين بفتاة ليل ويتفق معها أن تذهب لسراج في مكتبه، وبعدها يهاتف إنجي فتذهب لتكتشف خيانته وتبتعد عنه، ومع أنها فكرة تقليدية مهروسة في السينما لكن محمد أحسها جديدة لم تخطر على بال أحد، وانتفض من بكائه وهاتف أحد أصدقائه المنحرفين، وأخبره بحاجته للتواصل مع ساقطة.

في اليوم التالي بعد الانتهاء من تدريب إنجي التقى محمد بالساقطة وأخبرها بمراده، وأعطاها ضعف أجرتها في الليلة وخططا أن تذهب إلى المسرح لسراج كأنها تريد التمثيل ثم توَقعه في فخها، لكن الحال لم يكن بتقليدية أفلام السينما التي صدرت لنا جدعنة وشهامة الساقطات في الوقوف مع الحق وفي صيانة العهود، وكيف تصون العهد من لم تصُن نفسها؟! لا يهم، هاتفت الساقطة سراج وأخبرته بما يدبره محمد لتجني مالا أكثر، فأعطاها سراج ما طلبت واتفق معها أن تجاري محمد فيما يريد وتخبره بميعاد تواجدها في شقة سراج ليفسدا خططه، وفي اليوم الذي اتفقت فيه الساقطة

مع محمد هاتف سراج إنجي وأخبرها بأنه سيكون مشغولا ولن يستطيع مقابلتها ليزيد حبك القصة، وبعد أن ظن محمد أن كل شيء يسير كما يريد اتصل بإنجي من رقم جديد وأخبرها أنه فاعل خير يخبرها أن خطيبها يخونها، فلم تصدقه، فأصر، فتذكرت رفض سراج مقابلتها اليوم، فلاعبها الشك وذهبت لبيته، وكان سراج يعرف من الساقطة مسبقًا أن محمد سيتواجد بالقرب من بيته في انتظار إنجي ليقابلها عند نزولها من كشف خيانة سراج، صعدت إنجي ومحمد يراقبها ثم وقف أمام العمارة في انتظار ما ستئول إليه الأحداث، وكانت إنجي تصعد درج السلم بخطوات متوترة، طرقت باب سراج وهي ترن الجرس بشكل هستيري، وعندما فتح سراج اندفعت للداخل وهي تقول «أين هي؟»، جلس سراج على الأريكة وترك إنجي تفتش جميع أركان البيت، وعندما لم تجد أحدًا عادت إليه فوجدته يضحك عاليًا وقال «كانت هذه أنسب طريقة لأفاجئك بتحضيراتي عدة أشكال لديكور الحفل»، ثم أمسك يدها وجذبها لصدره في عناقٍ طويل، وإنجي لم تتوقف عن لكمه في كتفه وهي تبكي وتقول «حقير.. حقير.. أوجعت قلبي بتلك المزحة.. لن أسامحك».

ربت سراج على كتف إنجي ثم أراها ثلاث صور لديكورات

مختلفة وطلب منها أن تختار واحدة لتنفيذها، فسألته إنجي «هل أنت المتصل؟» فقال سراج «أووه، كدتُ أنساه، إنه محمد، ويقف أمام العمارة في انتظار الصعود»، ثم أخرج سراج هاتفه وهاتف محمد قائلا «اصعد يا محمد، لقد أخبرت إنجي بما دبرناه معًا لإسعادها»، فصعد محمد وهو لا يفهم شيئًا، لكنه أحس بالخيبة المطلقة عندما فهم انكشافه أمام سراج.

انتهى اللقاء بهزيمة وانكسار متضاعف لمحمد، وبتمكين سراج من قلب إنجي أكثر وأكثر، ولأن سراج بدأ يخاف من تدابير محمد في محاولة علاج إنجي بأن تفسخ ما تظنه خطبة، فقد اشترط عليه أن الحفل سيكون بعد أسبوع من الآن، حيث ضاعف البروفات حتى وصلت عشر ساعات يوميًا، وبالتالي تم إجبار محمد على مد إجازته من العمل واستهلاك رصيد الإجازات السنوي، وزيادة تدهور حالته التي كانت تسوء بكل لحظة تمر يرى فيها تعلق إنجي بسراج، عانقه اليأس لكن شيئًا داخله كان يجبره على مواصلة الطريق، إنه الوعد الموشوم وحسن الظن بالله بأن الله لا يأتي إلا بخير مهما ضاقت الأمور، وقد كان ظن محمد في ربه صحيحًا، فقد كان لتكثيف البروفات تقصير الوقت في اكتشاف إنجي حقيقة سراج، بالتحديد قبل العرض بيومٍ

واحد، بعد أن تمت البروفات على أكمل وجه وتم تنفيذ الديكور ولم يبقَ سوى تركيبه، والجميع في انتظار افتتاح موسم الحفلات، وتم الاتفاق مع المدارس والنوادي وبيع التذاكر لمدة شهر، وقبيل الحفل بيوم أخذ الجميع إجازة ليستعيدوا نشاطهم ما عدا سراج وعمال الديكور ليتموا تركيب الديكور ولمساتهم الأخيرة، بدأ اليوم طبيعيًا، لكن أحد عمال الديكور تغيب لمرض ابنه، ومن جبروت سراج اتصل بمحمد ليأتي بدلًا من العامل، ورغم أن محمد لا يفقه شيئًا في الديكور لكن سراج أخبره أنه سيكون مجرد مساعد لباقي العمال، وربما لو لم يتغيب العامل كان سراج سيجبر محمد على المجيء حتى لا يرتاح، ولأن الأيام توهم الجبابرة أن تدابيرهم لمصلحتهم ثم تباغتهم بمصيدة الحساب، فقد اشترط سراج على محمد ألا يُخبر إنجي بمجيئه حتى لا تتعاطف معه، وقد كان، أتى محمد ومرت ساعات على عمله مع العمال بينما كانت إنجي تشتري باقة ورد لتفاجئ سراج بها في مكتبه، لتفاجئه بأنها لن تتركه يعمل يوم إجازتها، وكلما اقتربت خطوات إنجي من المسرح استمرت عروق يد محمد في البروز وهو يحمل قطع الديكور ويثبتها بسلك معدني، وأخيرًا وصلت إنجي ودخلت الباب العمومي للمسرح، ثم انحرفت يمينًا في الممر المؤدي للمكاتب الإدارية فلم تجد السكرتيرة على مكتبها بجوار باب مكتب سراج،

ففتحت الباب ومدت الورد ومن خلفه رأسها، فوجدت السكرتيرة جالسة على ركبتي سراج وتطوق رقبته بذراعيها، ارتعشت يدها وسقط الورد، همت بالرجوع ففُتح الباب على مصراعيه وانتبه سراج، ترددت أنفاس إنجي بقوة فبدأت تلهث وكأنها توقفت إثر ركضٍ كثير، أحست بألم رهيب في أسفل رأسها وأحست بشيء ساخن يفور من فوق كتفيها متصلًا برقبتها ورأسها من الخلف، وظهر لعقلها جزء معتم وتوقفت الأصوات وكأن أذنيها امتلأتا بالماء، أمسكت رأسها وضغطت عليها بيديها وظهرت لها كل مشاهدها مع سراج دفعة واحدة، واستحضر عقلها جميع الأصوات التي مرت بحياتها بمستوى الهمهمة، ثم ارتكز عقلها على استحضار ذكرى مماثلة لما رأته الآن حين كان سراج يهاتفها بعد سفره سويسرا، وكانت فتاته الأجنبية تجلس على ركبتيه نفس جلسة السكرتيرة أثناء مكالمة بالصوت والصورة ليؤكد لإنجي أن ما بينهما قد انتهى، وبينما كان سراج يقوم من جلسته ويفك يدي السكرتيرة من رقبته كانت إنجي تنزل ببطء على ركبتيها وهي تقول «ما الذي أتى بي هنا؟!» ثم نظرت للورد على الأرض وهي تكرر باندهاش «ما الذي أتى بي هنا؟! لقد افترقنا من وقت سفرك وخيانتك، ما الذي أتى بي هنا؟! أنت لست خطيبي يا حقير، ماذا يحدث؟!»، فقامت السكرترية تُهَندِمُ ملابسها وفرت قبل الفضيحة، وجلست

إنجي على الأرض ورفعت عينها للسقف وهي تضغط على رأسها وتتألم، اقترب منها سراج ووقف أمامها مادًا يده قائلا: «بم تشعرين؟» فأجابته وهي تغمض عينيها من شدة الألم وقالت: «لا أريد رؤيتك»، فأمسكها من كتفيها وحاول إيقافها فقالت بأنين وهي تحاول سحب نفسها من بين يديه وهي واهنة بصوت خفيض: «لا تلمسني، اتركني»، لكنه تجاهل كلامها وأحكم يديه عليها فانفجرت صارخة: «اتركني، اتركني» فسمعها محمد وهو واقف على سلم خشبي مسنود على أحد حوائط المسرح أثناء تعليق قطعة ديكور، فسأل أحد العمال «هل سمعت أحدًا ينادي أو يصرخ؟» فضحك العامل قائلا «سلامة أذنك»، وأكمل العامل عمله، لم يكن صوتها عاليًا للدرجة التي تمر من الممر الطويل وتخترق حائط المسرح الكاتم للصوت، وإن محمدًا لم يسمع مناجاتها بأذنه بل سمعها قلبه، فنزل مسرعًا وانطلق خارج القاعة يتلفتُ يمينا وشمالا فسمع صوت حبيبته آتيًا من جهة المكاتب فانطلق إليه ليسمع صوتها تئن وسراج يقول «لا تتمسكني».

دخل محمد فوجد سراج واقفًا وإنجي جالسة على الأرض، فنزل إليها برفق وصلابة وقال «ما بكِ ياحبيبتي؟» وقبل أن تنطق إنجي أتى صوت سراج من ظهر محمد يقول «يبدو

أنها تتدلل»، لم يلتفت محمد وأمسك بيديه رأس إنجي ليمكنها من النظر إليه قائلا «هل آذاكِ خطيبكِ؟» وبكل مقاومة للأوجاع هزت رأسها نفيًا وقالت «ليس خطيبي، وأنت تعرفُ يا محمد»، وقبل أن يستوعب محمد كلماتها وضع سراج يده على كتف محمد ووكزه قائلا «مستحيل أخسر أرباح الحفل»، وبكل ما أوتي محمد من غلٍ وقوة استجمعها في يده اليمنى واستدار بلكمة لأعلى كالمطرقة فاستقرت أسفل بطن سراج فجحظت عيناه وتوقفت أنفاسه وهو يمد شفتيه ينفُخ من شدة الوجع، فانتبهت إنجي من وجومها لتشاهد سراج ينزل أرضًا على ركبتيه من فرط الألم ومحمد بدأ ينهض ثم ركله في وجهه فانجرف حتى التصق بالحائط، فلاحقه محمد بألوان الضرب.

وعن تلك اللحظة يقول الراوي: على الجبابرة أن يحترسوا من لحظة يتحول فيها كبت المظلومين إلى لغة، ويتحول تحملهم إلى انتقام؛ لأنهم لن يجدوا ما يصدون به غشومية الانتقام العشوائي، وهذا ما حدث عندما أغلق محمد باب المكتب بالمفتاح وانهال باللكمات على وجه سراج فاختفت ملامحه تحت دمائه ولم يتوقف محمد إلا عندما تعب، ولحسن الحظ كان الجميع مشغولين في قاعة المسرح، وكان سراج غير متمكن من الصراخ، وحتى لو صرخ فلا يملك من

يسمعه بقلبه، إنه سراج وليس إنجي.

رفضت إنجي أن يحملها محمد واستندت عليه تتوكأ، فأحاط ظهرها بيده وخرجا بهدوء، وكانت إنجي ترتعش رغم دفء الجو لكنها كالذي أمطرت الدنيا عليه في منتصف الشتاء وهو عارٍ، لكن شيئًا من الأمان تسرب داخلها في تطويق يد محمد لظهرها وضغطه على كتفها الأيمن فالتصق كتفها الأيسر بصدره، انطلقا بعيدًا دون كلام، وطال الصمت، ومحمد ما زال لا يعرف ما حدث، وإنجي خائفة منه ولا تفهم أي شيء، قطع محمد الصمت قائلًا «سأوقف تاكسي ونعود لبيتك» فهزت إنجي رأسها نفيًا، فسألها «أين تحبين الذهاب؟» لم تنظر إليه وقالت «اتركني وحدي»، فأجابها «سأبقى معكِ، مهما كلفني الثمن».

فتوقفت عن المشي وقالت «لا تستغل انفصالي عن سراج وتسرق كلامه»، بلع محمد ريقه بصعوبة ثم قال: «أخبريني، ما الذي حدث؟» فقالت وهي تفك يده من حولها «قلت أريد أن أكون وحدي»، وبدأت إنجي تستعيد توازنها ودفعت عنها محمد، وعندما حاول إسنادها بدأت تصرخ بهستيرية وتقول «اتركني، وإلا استنجدت بالناس منك» وعندما بدأ صياحها يلفت الناس ويتساءلون كيف يساعدونها، ومنهم من يسألها

عن محمد أتعرفينه أم يعاكس؟ لحظات وانطلقت إنجي وبقي محمد مكانه ينظر إليها حتى ابتعدت فتبعها متلصصًا من بعيد، واستغل ابتعاده في مهاتفة الطبيب وأخبره بتطور حال إنجي وأنها لم تفقد الوعي، ثم استشاره في مصارحتها، فأكد الطبيب ألا يخبرها بشيء ولكن يساعدها في الوصول للتفكير بأن يطرح لها تساؤلات تبحث بنفسها عن إجابتها.

(٧)

ما زال محمد يتتبع خطى إنجي من بعيد حتى وصلت كورنيش حي العجوزة، فتوقفت أمام النيل وكانت تظن نفسها أفلتت منه، فاقترب منها وتخطاها بعيدًا ثم وقف على مسافة ما يقرب من عشرة أمتار، فتبسمت وزاد توهانها، ومع تيار النيل الناعم في جرف المياه بحنين يهدئ الروح بدأت أنفاسها تنتظم، ثم سحبت نفسًا طويلا وأخرجته ببطء وذهبت عيناها مع تموج المياه تبحث في ذاكرتها عن ترتيب، فقط ترتيب لأحداث عمرها وما زالت تكرر جملة «كيف أتيت لسراج بعد خيانته وفراقنا؟!»، وما ألعن أن تتلاعب الذاكرة بالإنسان فيتوه بين الزمان والمكان، وبينما هي غارقة في التفكير قاطعها اقتراب محمد بهدوء ووضع أمامها على السور مياهًا وعصيرًا وكعكًا ثم انصرف في صمت وعاد مكانه بعيدًا عنها، فانتبهت لعطشها وشربت حتى ارتوت وما زالت لا تفهم علاقتها به، أعدو هو أم حبيب؟!

مضى من العمر أكثر من ساعة ولم تصل لشيء، وكلما حاولت التركيز في التذكر أحست بسخونة أسفل رأسها وتداخلت أصوات كثيرة وتاه عقلها بين مشاهد سريعة لا

يستطيع تفسيرها أو حتى لمحها، وبينما تفكر وتفكر وتعتصر عقلها تحركت قدماها إلى محمد، وكلما خطت له خطوة خطى لها خطوتين حتى التقيا فقالت «أستحلفك بأغلى ما لديك أن تصارحني بما أريد» فأجابها «وغلاوتك سأصارحكِ» تأملت عينيه وهو يقسم بغلاوتها فوجدت فيهما صدق الدنيا وصفاء الفطرة فقالت:

- هل حقا خانني سراج وسافر قبيل حفل زفافنا بأيام؟

- نعم.

- هل انفصلنا ولم يعد بيننا شيء.

- نعم.

- عندما سافر تزوج بفتاة سويسرية وهاتفني صوت وصورة وهي جالسة على ركبتيه؟

- نعم

- لقد كنت أقرب الناس لي، فلماذا تركتني أذهب إليه هذه

الفترة؟

- أردتكِ أن تكتشفي بنفسك كل شيء فتتحول الأحداث لحقائق، لكني لو أخبرتكِ ستصبح مجرد معلومة لن تصدقيها.

- لهذا السبب كنت تسألني دائمًا عن البحث عن هاتفي وتصفح الصور؟

- نعم.

سكتت إنجي وتاهت في نفسها أكثر، والتفتت للنيل ببطء وهي تسند يديها على السور وتمتمت «طالما فارقتُ سراج فهذا يدل على أن حادث انقلاب السيارة كان منذ فترة بعيدة! فماذا حدث لي تلك الفترة؟ لماذا استيقظت فوجدت نفسي في المستشفى؟»، اقترب محمد منها الخطوتين الفاصلتين وبصوت خفيض دافئ وكأنه صوت عقلها أجابها «لأنكِ وقعتِ من فوق السلم»، وكما هي متأملة في النيل وتائهة قالت «فقدتُ الذاكرة؟»، ابتلع محمد ريقه وهَمَّ بالكلام فارتعشت شفتاه وهو يتأمل ملامح حبيبته من حيث لا تراه وقال «شيء من هذا القبيل» فالتفتت إليه وهي تقول «لكني الآن أتذكر كل شيء»، هنا فقط هبطت دموعه من جنة عينيه

إلى دنيا خديه وهو يقول «ما الذي تذكرتِه؟»، فتحركت يداها لا إراديًا ومسحت دموعه وهي تبث فيه القوة وتحاول أن تطمئنه بأنها بخير وبنبرة تحفيزية قالت «لقد أخبرتك، جمعتني قصة حب مع سراج، تمت خطبتنا وبدأنا تجهيز بيت الزوجية، لكنه سافر قبيل زفافنا وتزوج بأخرى، ومن وقتها وأنت صديقي المقرب»، زادت دموعه فمسحتها ثانية وهي تقول «ألم أخبرك بأني أتذكر كل شيء؟»، فقال «ألم». وصمتا حتى مسحت دموعه تمامًا وسحبت يديها من خديه، وقتها استجدى دموعه أن تهبط لتعود حبيبته تمسحها لكن دموعه خانته وتمنعت، حتى دموعه خانته حين احتاج وجودها، فقال «هل تتذكرين لحظة إفاقتكِ في المستشفى؟»، فأجابته «أتذكر جيدًا حين تعجبت من وجودك وطلبت من أمي أن تستأذنك في الخروج وبعدها دخل سراج» فسألها «ألا تتذكرين مرة أخرى لإفاقتكِ؟» فأجابته «لا» فقال:

- لقد أفقتِ قبل تلك المرة بيومين، وعندما سألتِ عن سراج وأخبرناكِ بانفصالكما لم تتحملي الصدمة وفقدتِ الوعي أربعة وثلاثين ساعة.

- يااااه، لهذا كنت تتحمل سخافات سراج وتوبيخه محاولة لتقربك مني يا صديقي؟

كانت إجابة محمد ابتسامة بلا معنى أو بكل المعاني، فقالت إنجي «سامحني، إنني محقوقة لك بالكثير، يبدو أنك تحملت لأجلي أكثر مما تحكي يا صديقي»، هنا انفجر بركان أوجاعه فتبسم قائلا «هذا جزء من حقوقك عليَّ»، فتبسمت هي فرحًا وقالت «هل يوجد شيء لم أتذكره بعد؟ يا أجمل ناسي»، وفي لمح البصر تمعّن محمد في جملتها فوجدها تختصر قصتهما وتجمع المترادفات المتضادة وتخبئ الحسرة والفرح وتختصر المحنة والمنحة فأجابها «بل أنتِ أجمل ناسي» يقصد (النسيان أي أنها أجمل ناسية) بينما هي تقصد (الناس أي أنه أجمل ناسها)، فأكمل كلامه «أخبرنا الطبيب أنكِ طالما بدأتِ تتذكرين شيئًا، فبمرور الوقت ستتذكرين باقي الأشياء» فسألته:

- وماذا عن الأشياء التي لم أتذكرها، أهي جميلة أم قبيحة مثل سراج؟

- صار كل شيء سهلاً، طالما بدأتِ تتذكرين، كل ما عليكِ أن تبحثي في كل شيء حولكِ عن معناه وسبب وجوده في حياتك، وأنا موجود معكِ طوال الوقت بكل الأسباب.

- أنت محق في أنني لو عرفتُ الأشياء منكم ستظل مجرد

معلومة ولن أتذكر.

- ولكني سأبقى جواركِ دائمًا.

- تلك كفايتي.

- يكفيني من الدنيا أنتِ يا إنجي.

- أتعرف يا صديقي، أحمد الله كثيرًا لأني لم أنسَ أهم ناسي، أنت ومرام وعائلتي، ولم أنسَ مقدار علاقتي بكم، وكل شيء بعدكم لا يهمني تذكره، فأنا لا أحتاج أكثر من معرفتي الشخصية بنفسي وعلاقتي بربي وأنتم، وستظل أجمل ناسي يا محمد.

حين كررت نفس الجملة لم يتمالك محمد نفسه وخبأ أوجاعه في قناع الضحك المبالغ فيه كالذي سمع نكتة لامست أسرار بهجته، وبصوت عالٍ ويدين مفتوحتين كممثل مسرحي قال «أجل إنكِ أنتِ أجمل ناسي يا إنجي، أجمل ناسي على الإطلاق، يكفي أن نعيش في كوكبنا الخاص بعلاقتنا وقربنا»، ولأن الضحك معدٍ بادلته إنجي ضحكة فرح بالذي فهمته من كلامه وقالت «جميل تعبيرك

عن علاقتنا بكوكبنا الخاص»

أخيرًا عادت ضحكتها القديمة التي يحبها فنسي حاله وهجر أحزانه وقال «أنتِ أجمل من كل التعابير» فأكملت وصلة ضحكها قائلة «يبدو أن وقوعي على السلم جعلك تستبيح مغازلتي، يبدو أنك نسيت الحدود التي بيننا»، فضحك مبررًا «خوفي عليكِ أشد من تذكري أي حدود»، فقالت إنجي «أتعرف يا صديقي، لو أن فقدي الذاكرة وكل ما حدث، لو أنه فقط لسبب أن أراك تنتقم أمام عيني من سراج، فهذا يكفي وزيادة، لقد أحرق قلبي طويلاً، «فأقر محمد كلامها قائلا «فعلا، لقد أوجعني فيكِ سنين».

استقبلت إنجي كلمة «سنين»، بصدمة جعلتها تتراجع خطوة وعادت لتوهانها، بل إنه تضاعف وهي تقول مندهشة «ماذا؟! سنين!! ظننت شهرين أو ثلاثة، إذًا ماذا كنت أفعل في هذه السنين؟! محمد أريد أن أجلس» قالتها وهي تنظر للمصطبة التي تبعد أمتارًا بسيطة عن السور، لكنها لم تقدر أن تخطو لفرط ارتباكها، فمد لها يده وأسندها حتى أجلسها فكررت سؤالها «منذ فراقي سراج، ماذا كنت أفعل في هذه السنين؟!» فأجابها محمد:

- اتفقنا أن نبحث معًا، صدقيني ستكون لعبة جميلة، وأنتِ بلسانكِ قلتِ لو أن سبب ما حدث هو أن تري انتقامي من سراج فهذا يكفي، يا صديقتي الحياة مملة رتيبة، ولقد وهبنا الله نعمة أن نكتشف حياتنا من جديد، ليتكِ تنظرين لما يحدث بهذه الزاوية، فنستمتع.

- الموضوع ليس بتلك السهولة.

- إنجي، أنا أكثر من يُدرِكُ ذلك.

- لن تشعر بما أشعر به مهما كان قربك مني، ومهما ساندتني، لا أحد ينام بين ضلوع المرء سوى نفسه.

- ربما تدركين ذات يومٍ أنني أحسكِ أكثر مما تتخيلين، وبأني الوحيد الذي يستطيع قول أن ما يحدث ليس سهلاً، لكني تعودت كلما عظم البلاء زاد حسن ظني في الله.

- كلامك جميل، لأنك تشاهد البلاء من الخارج، لست مثلي بطل الحكاية.

- ربما.

وعاد البطلان لبيت إنجي، فهلل الأهل، وقبل أن تبوح الأم بكل شيء همس لها محمد بأن إنجي لم تتذكر خطبتهما، فأكملت الأم تهليلها وأطلقت الزغاريد وعانقت ابنتها وظلت تدعو لها، يومها باتت إنجي تتحسس كل تفاصيل غرفتها، وبات محمد مع كتابة رسالة جديدة فكتب: «ها قد رحل الاحتلال عن حبيبتي، ولم يبقَ لي سوى أن تتذكريني يا إنجي، أنتظرك بمقدار نسيانكِ لي، أتعرفين يا حبيبتي؟ لقد علمني حبكِ أن من أبشع الجرائم أن نألف النعم فلا نراها نِعَمًا، إنني لم أدرك نعمة أن أناديكِ حبيبتي إلا بعد أن حرمتُ منها، أبسط الأشياء نجدها عظيمة حين نُحرم منها، لمسة يديكِ، اقترابك لتهمسين لي فأشتمّ رائحتكِ، وقبل كل شيء أن تناديني حبيبي وأنتِ تتذكرين أني حبيبكِ».

* * *

يقول الراوي : أغبى شخص هو من يأمَنَ لضعف شخصٍ آخر، وأحقر شخص هو من يبني أحلامة على أزمة إنسان آخر، لقد كانت أغلال محمد هي الضامن الذي يستند عليه سراج، وكانت أزمة إنجي هي العقد الذي بينهما، ولم يتخيل سراج أن تنقلب الأمور فجأة فتنهار آماله ليلة افتتاح العرض، ومن فرط جبروته لم يوقع أي عقدٍ مع محمد وإنجي رغم أنه

وقع مع جميع المدارس والنوادي ووضع شرطًا جزائيًا.

ها هو سراج بين أعقاب سجائره التي ملأت المطفأة وتناثر الباقي على المنضدة، وسراج يتفحص قائمة المدارس والنوادي ويستعد للاتصال بهم ليؤكد إلغاء الحفل غدًا وإلغاء باقي العروض التي تعاقد عليها لمدة شهر، ويستعد أيضًا لتفقد حسابه البنكي ليعرف المبلغ الذي سيخسره في الشروط الجزائية.

وفي اليوم التالي مَرَّ محمد أمام المسرح فوجد العمال يقومون بإنزال اللافتة الكبيرة المرسوم عليها صورته مع فلتة ومكتوب «مسرحية فلتة وميشو»، ما أروع الحقوق حين تُعيدها محكمة الأيام.

(٨)

لم تخرج إنجي من بيتها لمدة أسبوع، كانت تقضي يومها في النوم أكثر من خمس عشرة ساعة، فقد كان عقلها مرهقًا وكانت نصيحة الطبيب أن تنام قدر الإمكان، وعندما تستيقظ كانت مشاهد خيانة سراج تسيطر عليها فتبكي بحرقة حتى تنام في أحضان أمها، وعندما طلب محمد أن يقابلها وافقت بشرطها القديم قبل حبهما، حيث كانت لا تخرج معه منفردة، كان شرطها دائمًا أن يكونا في مجموعة أصدقاء وبعلم أهلها، فوافقت واتفقت مع مرام أن تأتي معهما.

وعن هذا اللقاء كتب محمد رسالته تلك: «إنني اليوم غير قادر على البكاء، والحزن لا يستطيع زيارتي لشدة توهاني، يا حبيبتي كيف طاوع قلبكِ عقلكِ وخان؟! إن خانت الذاكرة عقولنا فكيف تخون المشاعر قلوبنا؟! أجيبيني، أجيبي أسئلتي التي تفتك بي كل لحظة حتى صرت فاقدًا للواقع غير مدرك ما يحدث حولي، ما نسيتيه أنتِ محبوس أنا فيه، ما لا تفهمينه في كلماتي يذبحني، يحرقني، يصعقني، لقد اختصرنا علاقتنا وأيامنا في كلماتٍ بسيطة حين نقولها بين

الناس نفهم نحن ما نريده ونتذكر ونضحك دونهم، لكني صرت وحيدًا في ذكرياتي وفي ذاكرتي، يا حبيبتي كيف تذكرتِ كل شيء إلا أنا؟!

وما ألعن اللقاء حين وافقتِ أن نتقابل بصحبة صديقتكِ مرام، فسألتكِ أي الأماكن تفضلينها، فأجبتِ بأنك تريدين مكانًا مفتوحًا وياليته بجوار النيل، فتبسمت داخلي وتفاءلت متمنيًا أن يكون قلبك قد حن لمكاننا، لكنك أكملت الإيضاح بأن نذهب لأي حديقة بجوار النيل إلا حديقة أم كلثوم، حديقة حبنا «جنينتنا»، ففهمت السبب دون أن تقوليه، أنكِ لا تحبين الذهاب لمكانٍ تظنينه كان لذكرياتكِ مع سراج، ومع أنكِ لم تدخلي مع سراج إلا بعد أن فقدتِ الذاكرة فظننتِها حديقة حبكما مع أنها حديقة حبنا نحن.

اتفقنا أن أقابلهما بعد عملي في حديقة على الكورنيش المقابل لدار الأوبرا المصرية، لكن حبيبتي وصديقتها وصلتا قبلي فدخلتا ودخلت بعدهما بدقائق، فتجولت بعيني قبل قدمي فوجدتهما تقفان على مرسى إحدى المراكب، فنزلت لهما سلالم الحديقة، وأثناء النزول التفتتا إليّ فأشارت مرام بيدها لي والتفتت حبيبتي تجاه النيل، وعندما اقتربت وصارت أمتار بسيطة تفصلنا وعيني ترى التفاصيل، وجدت

حبيبتي ممسكة بيد صديقتها وترتعش وتسرق النظر لي خلسة ثم تهمس لصديقتها وقد تجهم وجهها وصارعها البكاء، فأبطأتُ خطواتي وتخيلت أن ذاكرتها تعود، ثم وقفت على بعد ما يقرب من متر ونصف وصوتي يهلل بالسلام، فأجابتني صديقتها ولم تجبني حبيبتي، وتحاشت النظر لي بخوفٍ أضعفني، وازداد تمسكها بصديقتها، وكلما حاولت تهدئتها بكلمة ارتعشت أكثر، غمزت لي صديقتها أن أبتعد، ومرت اللحظات طعنات بصدري حتى التفتت حبيبتي لي بنظرة طويلة من خلف نظارتها السوداء، وأخيرًا استطاعت أن تخطو وتتمالك أعصابها في المشي، فقالت لي مرام «ابحث لنا عن مكانٍ في الظل» وغمزتني أن أسبقهما، سبقتهما وتهتُ أكثر.

جلست حبيبتي ولم تغادرني عينها من خلف نظارتها، ولا أتخيل ما يدور بداخلها، أهي عودة الذاكرة؟ أم غربة تعيشها؟ أم خوف؟ أم كل ما سبق؟

كررتُ السلام والتراحيب كثيرًا ولم تجبني، وكانت صديقتها تحاول تلطيف الجو، وبعد ما يقرب من نصف الساعة ردت السلام فقمت أقفز وأهلل وأباركها مازحًا فضحكت، ففرحتُ أكثر وبالغت في أفعالي المعتوهة، فزاد

ضحكها وخلعت نظارتها وظلت تتأملني كثيرًا ثم مدت لها مرام جوالها تأملت شيئًا فيه ثم عادت تنظر لي في صمت وهي تشير لصديقتها بالموافقة، فانتهزت اللحظة لتتلاقى أعيننا طويلا، إنني أعرف نظرتكِ هذه، لقد سميناها معا «كوكبنا» حين نتوغل في أعين بعضنا وتذوب ملامحك، لقد أمسكت شفتاي أن تهمسا لكِ كعادتنا في تلك اللحظات «بحبك»، ومن تدابير القدر رنين هاتف مرام فقامت من بيننا فسألت حبيبتي «لِمَ تنظرين لي هكذا؟»، فأجابتني «لأنك حين أتيت تمثل فيكَ شخصٌ أكرهه، لولا أن مرام طمأنتني أنه أنت وأرتني صورتك في هاتفها فبدأت تذهب من عيني هيئة الشخص الآخر، والآن أتأكد أنك أنت صديق عمري»، لقد تلاشى وميض الأمل الذي بدأ يظهر بقلبي وفهمتُ أن سراج تجسد فيَّ.

كان لقاءً بائسًا، حاولث اختصار ذكرياتنا بين الكلام لعلها تتذكر شيئًا لكن الكلام مر شفافًا لا يُرى، وتدرجنا بالكلام لأيام الدراسة فتذكرت أدق تفاصيلها وحكت عن لعبها مع أقرانها والجوابات التي أرسلها زميلها في المرحلة الابتدائية، وتذكرت أول عريس تقدم لخطبتها لمجرد أن رآها في الشارع، تبعها لبيتها وطلب الزواج منها، وكانت في المرحلة الثانوية، تذكرت كل شيء إلا حبنا.

خلعتُ خاتم خطبتنا وأعطيته لها لآخذ رأيها فيه، فأعجبت به، فأخبرتها أنني حين اشتريته وجدت مثله أسود لكني فضلت أن أشتريه أسود ولكن فيه طرف رمادي يلمع، فأعجبت أكثر وذمت في الأسود، فنظرتُ لصديقتها ونحن نتذكر يوم نزلنا جميعا لشراء خواتم الزِواج وقد اختارت حبيبتي خاتمي هذا، لقد كررت رأيها بنفس ألفاظ الماضي، وعادت تنظر لي بتمعنٍ في عيني ثم سألتني «ما بك؟» فأجبتها «أنتِ»، فضحكت وكررت السؤال فقلت «بخير»، فكذبتني وكررت كثيرًا ما بك، فأجبتها بأني أمر بظروفٍ صعبة بعملي، فغضبت لأني لم أبح بها، وياليتني أستطيع البوح كما كنا أصدقاء، غيرنا مسار الكلام ونسيت أنها سألتني عن حالي فقاطعتني «هل حزنك مرتبط بشيء نسيته؟»، وكنت مجبرًا على الكذب وتجرعت الوجع كي لا أزيد أوجاعك.

إن الشيء الوحيد الجميل بهذا اليوم هو أننا حين ركبنا سيارة مرام وبدأنا التحرك، طلبتُ منكِ أن تعطيني خاتمًا بيدك مصنوعًا من السلك الرفيع تم تشكيله على أحرف اسمك بالإنجليزية، فخلعتِ الخاتم وأعطيتِه لي وأنتِ تتمنين أن أحافظ عليه فهو غالٍ على قلبك، وكنت أعرف قيمة هذا

خلعتُ خاتم خطبتنا وأعطيته لها لآخذ رأيها فيه، فأعجبت به، فأخبرتها أنني_حين اشتريته وجدت مثله أسود لكني فضلت أن أشتريه أسود ولكن فيه طرف رمادي يلمع، فأعجبت أكثر وذمت في الأسود، فنظرتُ لصديقتها ونحن نتذكر يوم نزلنا جميعا لشراء خواتم الزواج وقد اختارت حبيبتي خاتمي هذا، لقد كررت رأيها بنفس ألفاظ الماضي، وعادت تنظر لي بتمعنٍ في عيني ثم سألتني «ما بك؟» فأجبتها «أنتِ»، فضحكت وكررت السؤال فقلت «بخير»، فكذبتني وكررت كثيرًا ما بك، فأجبتها بأني أمر بظروفٍ صعبة بعملي، فغضبت لأني لم أبح بها، وياليتني أستطيع البوح كما كنا أصدقاء، غيرنا مسار الكلام ونسيت أنها سألتني عن حالي فقاطعتني «هل حزنك مرتبط بشيء نسيته؟»، وكنت مجبرًا على الكذب وتجرعت الوجع كي لا أزيد أوجاعك.

إن الشيء الوحيد الجميل بهذا اليوم هو أننا حين ركبنا سيارة مرام وبدأنا التحرك، طلبتُ منكِ أن تعطيني خاتمًا بيدك مصنوعًا من السلك الرفيع تم تشكيله على أحرف اسمك بالإنجليزية، فخلعتِ الخاتم وأعطيتِه لي وأنتِ تتمنين أن أحافظ عليه فهو غالٍ على قلبك، وكنت أعرف قيمة هذا

الخاتم عندك، ولقد حاولتُ كثيرًا أن آخذه وأنتِ حبيبتي ولم توافقي على خلعه من يدك وكنتِ تمزحين وتقولين «ستتقابل كلما أحببتَ أن ترى الخاتم»، ها قد أخذته فهل أفرح به أم أحزن؟ لأنه دليل أنني كلما اشتقت لرؤياه لن أراه في إصبعكِ، سأراه وحيدًا في يدي.

—

(٩)

يقول الراوي: ها هي الأيام تكرر نفسها تحت قناع النسيان على ألحان الذاكرة، فقد عادت إنجي لحالة فراق سراج يوم خانها فصارت تستيقظ في نومها مصروعة تبكي وتسأل «كيف هنث عليه؟!» ثم تفيق لنفسها فتسبه وتلعن جنس الرجال، عادت فوبيا خوفها من الرجال فلم تعد تمد يدها بالسلام حتى، ولكن ما يميز تلك الأيام عن الماضي هو أن إنجي تُدرك أنها فقدت الذاكرة فترة لكن ما زالت داخلها فجوة معتمة لا تعرف لها تفسيرًا، فعقلها بداخله الأحداث مرتبة أن بعد فراق سراج بفترة بسيطة وقعت من على السلم فنسيت لمدة أيام ثم عادت لها ذاكرتها، لقد حذف عقلها سنين من يوم سفر سراج مرورًا بقصة حبها مع محمد، هي فقط تتذكره كصديقها المقرب الذي آوت إليه بعد نكبتها.

ومع تطور حالة إنجي طلب محمد من أهلها أن يساعدوها في التذكر بطريقة غير مباشرة، لكن إنجي كانت تفهم مرادهم فتتصل بمحمد تبكي وتشكيهم له، وذات مرة قالت «إنني أقدر حبهم وخوفهم لكن مساعدتهم تعاقبني على شيء لا أعرفه، إنهم يتعمدون إبراز كل شيء حولي ليذكرني

بشيء لا أعرفه وأخاف أن أعرفه، لقد تعمدت ابتسام أختي اليوم أن نقوم بتنظيف غرفتي فوافقتها، وبينما نحن منهمكتين في التنظيف وضعت على المنضدة علبة شيكولا سوداء، فأمسكتها ووضعتها في أحد الأدراج، فقامت بتصنع تنظيف الدرج وأخرجت العلبة ووضعتها أمامي بشكل ملفت فتجاهلت صنيعها وخفت أن تسألني لمن تلك العلبة، وبما أنها في غرفتي فمن المؤكد أنها علبتي، لكن الخوف الأكبر لو سألتني من أتى بها إلي. إنني لا أعرف يا صديقي، وقد كان، لم تمر دقائق على مخاوفي تلك وبكل تصنع ساذج سألتني ابتسام «ياهل تُرى، من أين أتيتِ بتلك الشيكولا؟» فنظرت للاسم المكتوب عليها وقلت لها اسم دكان الحلوى، فزادت سذاجتها وقالت «لقد نسيت متى اشتريناها، هل كنا معًا أم أن أحدًا اشتراها لكِ هدية؟».

كان محمد يسمع وعيناه مذبوحتان بكاءً لأنه الذي اشترى الشيكولا لإنجي، لكنه استوعبها وحاول تهدئتها فأكملت إنجي «لقد غضبت وطلبت من ابتسام ألا تسألني عن شيء، وأكملنا التنظيف، ولم تمر دقائق حتى أتت صديقتي مرام، ولمجرد أن دخلت سألتها ابتسام هل اشتريتِ لنا هذه الشيكولا يا مرام؟ أتعرف يا صديقي؟ أحسست أنهم يعاقبونني على فقد ذاكرتي، إنهم لا يستوعبون هشاشتي

أمام كل تفصيلة لا أجد لها في عقلي تفسيرًا، وبعد انتهاء المكالمة اتصل محمد بوالدة إنجي وإخوتها وطلب منهم أن يتراجعوا في محاولة تذكيرها، وقال لهم «دعوها على راحتها وإن لم تتذكر، يهمني ألا تتألم، وما نسيته سأصنع لها أجمل منه»، ثم اختلى محمد بنفسه ونام باكيًا دون أن يكتب رسالة اليوم، وعندما استيقظ في الفجر ونزل لعمله وأثناء انتظار القطار في محطة المترو تذكر أنه لم يكتب، فأخرج هاتفه وكتب: «اليوم هو الاثنين الموافق ٤ مارس ٢٠١٩ الساعة ٥:٢٠، أجلس في محطة مترو حدائق الزيتون في انتظار أول قطار متجه إلى حلوان لأبدأ السعي لبيتنا في يومٍ جديد، يا فجر أيامي الطرقات مظلمة يملؤها الصقيع، لكن فيها الونس لأنها إليكِ، موقن أن تلك البرودة أشتري بها حطبًا يُدفئني باقي عمري، فأنتِ دفء الروح يا إنجي، وأحمل سلامًا ومعروفا لكل الناس وكل ما فيَّ يتشوق لتقديم أفضل مساعدة للعملاء، أتمنى أن يصل ما بي لهم، وأن يتقبلوا مجهودي بإحسان.

* * *

ها قد وصل القطار، أتى يشقُ المطر ونوره يتشعب في الضباب.. لم أتخيل أنه سيكون مزدحمًا بهذه الدرجة، فأنا

أول مرة بعمري أركب أول قطار لهذا الطريق، يبدو أن الكثيرين بهم ما بي ونزلوا سعيًا لحضن أحبتهم، أتعرفين يا دلوعتي؟..

لا أعرف هل سأكتب لك في هذا اليوم أم لا، لكني أبحث عما أخبرك به، وها هي الأمطار بدأت تشتد. صحيح، جدولي هذا الأسبوع يبدأ من السابعة صباحًا، ولذا أنزل من البيت حوالي الخامسة أو الخامسة والنصف.

أخيرًا وصلت محطة نزولي وقد بلغت الأمطار قوتها، ولمجرد نزولي بدأت ملابسي تبتل، لكني التفتُ لخبطاتٍ على كتفي وسط تدافع الناس لصعود السلم فوجدته زميلي بالعمل، خلع معطفه ذا غطاء الرأس وأعطاه لي متعللاً بأن ملابسه ثقيلة وبها غطاء لرأسه يقيه المطر، فتمنعت من أخذه فألح بأنه ليس من العدل أن يرتدي غطاءين للرأس وأنا رأسي تواجه المطر.

كان موقفا مليئا بالشهامة والحب، وانطلقنا معًا نترجل لعملنا، فتوقف يشتري طعامًا من عربة الفول ثم أكملنا السير، إنني أعشق شوارع المعادي في بداية الصباح، وقد زاد سحرها بعد المطر.

تلك حكاية يومي، ولو جد أي جديد بهذا اليوم سأخبرك يا كل حكاياتي، وعندما أعود البيت سأنقل ما كتبته على جوالي إلى الورق وأضعه في صندوق الرسائل، فقد قررت أن أكتب لكِ اليوم رسالتين عوضًا عن عدم كتابتي الأمس».

يقول الرواي: بالفعل كتب محمد رسالتين في هذا اليوم، كتب في إحداهما أن إنجي أخبرته بتطور تعامل أهلها وأنهم لم يعودوا يحاصرونها بالأسئلة، وقد أراحها ذلك كثيرًا، ولكن هستيرية البكاء المفاجئ لم تهدأ فطلبت إنجي من أهلها أن تذهب يومين للإسكندرية تختلي مع نفسها في هدوء بحر الشتاء لتريح أعصابها برفقة مرام.

وأثناء تجهيز إنجي حقيبة السفرعثرت على لوحة كبيرة عليها صورة محمد يمسك بيد الأراجوز فلتة ومكتوب فوقهما بخطٍ كبير، «ميشو خطب فلتوت»، وأسفل الصورة تاريخ ٢٣/١١/٢٠١٨، وبينما تتأملها رن هاتفها مضيئًا باسم محمد فارتبكت وطوت الصورة وكأنه دخل عليها، ثم قامت فعدلت شعرها وملابسها واقتربت بارتباك طفل أمسكته أمه وهو يسرق، وظلت ممسكة بالهاتف حتى انتهى الرنين فتنفست الصعداء، لحظات، وعاد الرنين فأجابت وهي تقرض أظافرها، وكانت تتسارع لإنهاء المكالمة متعللة بانشغالها

بتجهيز حقيبة السفر، اقترح عليها محمد أن يسافر لها بعد غدٍ في إجازته ويقضي يومين بغرفة قريبة منها في نفس الفندق فرفضت بلطفٍ مبررة أنها تريد الانعزال التام، ولولا أن أهلها فرضوا عليها أن ترافقها صديقتها لسافرت وحدها، انتهت المكالمة وأسرت إنجي في نفسها ما وجدته ولم تخبر أحدًا، وعندما شقشق الصباح سافرت، وسافر محمد بقلمه وسط بياض الورق، فكتب: «زهوة البدايات قتلها التعود، وبريقُ التعود أطفأه الروتين، وبدا كل شيء على حقيقته دون تجمل، فأثبت العمل أنكِ يا دلوعتي شيء لا يتكرر، فكلما تعودتُ على شيء فيكِ ازداد إعجابي به، والأشياء المكررة معكِ يزداد بريقها.

أتذكرين؟ في بداية رسائلي كتبتُ لكِ أن من أفضل مميزات العمل عدم ثبوت مواعيده حتى الإجازات متغيرة، لقد أعجبني حين كان معلومة، وعندما ذقتُ التطبيق أدركت سوءه، وما أسوأ المواعيد المتغيرة، أصبحتُ مرهونًا بالعمل فقط ولا أستطيع فعل شيء آخر، وصار جسدي لا يعرف مواعيد نومٍ ثابتة وهذا مرهقٌ جدًا، ومن مساوئ عدم ثبوت الإجازات أنني لا أستطيع إعطاء مواعيد لأحد أو معرفة موعد خلوتي وترفيهي، ولقد تبدل حالي مع السماعة فبعد أن كانت تصيبني بالصداع النصفي لمجرد ارتدائها صار

العكس صحيحًا، لقد أدمنتُ صراخ العملاء وصار الهدوء صداعي، ولمجرد أن أخلع السماعة أشعر بالغربة وعدم الاتزان، أما أعصابي فتبلدت وصار لساني سريع الكيد، ولم أعد أغضب من سباب العملاء وصراخهم، بل إنني أتفنن في كيدهم فأزيد صراخهم لأهدأ، فمثلا اليوم قال لي عميل «صوتك لا يصلح لتمثيل شركة كبيرة، ومن الأفضل أن تعمل بائع خضرواتٍ متجول»، فكان ردي «أشكرك على تلك النصيحة وأعدك أنني سأخبر الإدارة بها ربما تكون ترقيتي في سوق الخضار»، وبكل هدوءٍ أشعلتُ غضب العميل وحولتُ كيده غيظًا فأغلق المكالمة، ولأن من حقه أن يشكوني إن لم أعاود الاتصال عند انقطاع المكالمة، فاستغللت القانون لكيده وعاودتُ الاتصال، وبكل هدوء قلت «أعتذر عن انقطاع المكالمة»، فصرخ قائلا «لم تنقطع، أنا أغلقتها في وجهك»، فأسمعته ضحكي ثم قلت «أتريد إكمال المكالمة أم تُحب إغلاقها في وجهي مجددًا؟»، وقتها شتمني وأغلق ففرحتُ لبلوغي هدفي.

لقد قتلت خدمة العملاء انفعالي وغضبي وكثيرًا من إحساسي بنفسي، أتذكر جيدًا حين كانت أمي مريضة فذهبتُ بها للطبيب قبل عملي، ثم ذهبتُ إلى العمل، وكنتُ متوترًا لكن العملاء يعتبرون موظف خدمة العملاء آلة لا

تتألم ولا تحزن، واجب على موظف خدمة العملاء أن يسعد العميل مهما كانت أوجاع الموظف وأحزانه، لقد كنتُ أطمئنُ على أمي برسائل الواتساب وفي نفس اللحظة صوتي يضحك للعملاء لينعشهم.

ورغم أن تعاملي مع العملاء أفقدني إحساسي بنفسي وغير مفهوم كرامتي، لكني بدأتُ أتلمس النفس البشرية، إن الإنسان يظهر معدنه حين تتاح له الفرصة أن يظلم، خاصة لو كان الطرف الثاني مكبلا وتحكمه قيود تُمكن الطرف الأول من سحقه، ولأن العميل يدرك أنه مهما انفعل وشتم فإنني محكوم بآداب عملي ولن أتفاعل ضده، بل إنه كلما قسا ازداد ليني، وأيضًا معرفة العميل بأن روحي في يده حين يُقيّم المكالمة. هذان السببان أظهرا لي مدى غلاظة النفس البشرية إلا قليلا، إن الرفق أصعب من الغلظة، والرحمة أصعب من الظلم، ومعظم العملاء غلاظ وظلمة.

على سبيل المثال منذ أيام اتصلت عميلة صوتها ترحاب مؤدب، أخبرتني أن والدتها شحنت رصيدًا لتجديد باقة المكالمات، ولكن فور الشحن تم تجديد باقة الإنترنت أوتوماتيكيًا لأنه حان موعد تجديدها، بعد أن أنصتّ للعميلة أخبرتها بأن تعتبر باقة الإنترنت هدية من الشركة وأنني

سأعيد الرصيد لوالدتها ونجدد معًا باقة المكالمات، ولكن عليها أن تطلب كود التجديد، فأخبرتني أنها في العمل ووالدتها بالبيت، فأخذت رقم والدتها واتصلت بها وكانت سيدة فاضلة متفهمة، فساعدتها بسهولة ونفذت وعدي وتم تجديد الباقة، ثم عدت للاتصال بابنتها فأخبرتها بكل ما حدث، فشكرتني وتمنت لي يومًا جميلا، ولكن العجب غير المتوقع أن الفتاة أعطتني صفرًا في التقييم وأعطت الشركة صفرًا أيضًا، وقامت بتسجيل شكوى أن مساعدتي كانت بطيئة، وأضافت أنها تريد المتابعة لأن مشكلتها لم يتم حلها بالكامل، كان الموقف صادمًا ولكنني تعودتُ على ظلم العملاء، ربما الفائدة من ذلك أنني تعلمتُ الرضا وأدركتُ أن المجهود الكبير في الاتجاه الصحيح قد تكون نواتجه فاشلة وعلينا الرضا وعدم التوقف.

هذا ينقلني لنقطة أخرى في النفس البشرية، وهي أن الناس تُحبُ أن تسمع ما يرضيها وإن كان خطأ، الناس تحبُ أن تسمع ما يثبت أنهم على صواب حتى لا يتراجعوا عن أخطائهم، وما أقل من يملكون النقاء للاعتراف بالخطأ.

لقد اكتشفت خطأي في المكالمة السابقة، وهو أنني أخبرت الفتاة في بداية المكالمة بأنه من الطبيعي تجديد الباقة التي

حان موعدها وليس تجديد الباقة التي ينوي العميل تجديدها؛ لأن السيستم لا يعرف النوايا، لا يعرف غير الأرقام، وكان على العميلة أن تلغي باقة الإنترنت للاحتفاظ برصيدها، إن الفتاة لم تحب سماع الحقيقة لأنها تُدين تفكيرها، وكانت تريد أن أعتذر عن الحقيقة وأثبت لها أن ما سقط من تفكيرها لا يصلح أن يكون صوابًا، ولأن العملاء متشابهون ونحن في الشركة نصنف جميع مكالمات العملاء لعشرة أنواع تلخص الأعطال والاستفسارات، فقد تكرر مثل هذه المكالمة وصرت أعتذر للعميل وأخبره بخطأ الشركة في تجديد باقة اشترك فيها ويعرف ميعاد تجديدها مسبقًا، وبعد أن أبالغ في طلب السماح أطلب منه أن يُخبرني بما يريد، ومع أني أعرفه لكن أتفاجأ حين ينطقه وأقبله كأنه كلام منزل، وبعدها أتودد إليه أن يوافق على إبقاء الباقة التي تم تجديدها بالخطأ كنوع من الاعتذار. يا بطلتي إنجي تتلخص التجربة في مبدأ: عليك أن تعتذر للعميل على غبائه أو سوء استخدامه ليستمر في تسليمك نقوده ويبلع الطعم بإحساس الانتصار.

يا حبيبتي إن معظم العملاء يتصلون لتفريغ غضبهم من كل شيء في أشغالهم وحياتهم، يتصلون ليسمعوا المدح ثم يثورون على موظف خدمة العملاء باعتباره سبب كل

بلاياهم، العملاء يُحبون الاعتذار أكثر من حل مشكلاتهم، إن إدارة جودة المكالمات وتحليلها لاحظت وجود عميل يتصل يوميًا ويطيل المكالمة على أسباب تافهة ويكرر استفساراته، وعندما تتبعوه وجدوه شحاذًا، فأثار الإدارة معرفة فلسفة إقباله على الاتصال، فدبروا له هدية مفبركة أسموها (العميل الأكثر اتصالاً)، وسلموها له، ثم ناقشوه فوجدوه يتصل لسماع المدح والاعتذار لتهوين ذل يومه، وأنه أبرز مثال لمعظم العملاء.

اكتشفت أيضًا أن الناس تلين لمن يناديهم بأساميهم، لذا أكرر اسم العميل في المكالمة، وأيضًا الناس تريد من يسمعهم دون مقاطعة ولا يتكلم إلا عندما يأذنون له، لذا لا أقاطع العميل إلا بعد أن ينتهي من كلامه ويكرره، وعندما لا يجد ما يضيفه أستأذنه في التكلم، وهذا يعطي الحق لمعظم العملاء في الرفض فيكملون أي هرتلة وبعدها يأذنون لي بالتكلم، إنهم يظنون سيادة رأيهم ولا يعلمون بأني أعظّم تفاهتهم ليشعروا بمكانة زائفة ومن ثم أنفذ ما أريده بالطريقة التي ترضيهم.

(١٠)

في الطابق الثالث عشر من فندق الحرم المطل على شاطئ سيدي جابر بدأ اعتكاف إنجي منزوية في غرفة بمفردها وبجوارها غرفة صديقتها، حيث اتفقت معها إنجي أنها تريد الخلوة التامة مع منظر البحر والتفكير في حياتها ربما تستطيع ترتيبها، وأغلقت هاتفها فور دخولها الغرفة بعد مكالمة أهلها تطمئنهم.

مر نهار اليوم الأول في الشرفة ومعها دفتر وقلم، رسمت دائرتين الأولى مكتوب فيها «خطبتي من سراج ٢٠١٦» وكتبت في الدائرة الثانية «خطبتي من محمد ٢٠١٨» وبين الدائرتين خط ظلت تشخبط حوله أشكالا غير متناسقة ثم كتبت «ماذا كنت أفعل في الثلاث سنوات تلك؟!، وبقيت على حالها ساعات دون أي حركة تجلس على كرسي وتمد رجليها على كرسي أمامها وعلى ركبتيها الدفتر، وبين وقتٍ وآخر تتابعها مرام من الشرفة المجاورة حتى أدت الشمس مهمتها وبدأت تلملم نفسها وتنزوي في حمرة الغروب، فنادت مرام على إنجي ففصلتها من حالها وسألتها «متى تأكلين؟» فانتبهت إنجي لقرص الجوع فور إفاقتها، فقامت متجهة

لغرفة مرام وأكلتا معًا، وكانت كلماتها قليلة، ثم عادت إلى غرفتها وقضت الليل مجيئًا وإيابًا تفكر حتى نامت دون أن تصل لشيء، دون أي تذكر.

وكان اليوم الثاني مطابقًا لليوم الأول، غير أنها حين نادتها مرام اقترحت عليها أن تنزلا لشراء طعام، ففعلتا، وبعدها تمشتا على البحر، وكانت كلماتهما معدودة ونظرات إنجي شاردة لا تُبصر مرام، وكانت الأخيرة حريصة على تركها دون تشويش وكانت تطمئن محمد وأهلها عليها، وعندما عادا إلى الفندق جلست إنجي في الشرفة وهي ملتحفة بشال، وبينما هي غارقة في منتصف الليل والتفكير قامت منتفضة وشغلت هاتفها واتصلت بمحمد فبدأ المكالمة «أشتاقكِ أكثر من تحملي» فانفجرت باكية قائلة «لماذا لم تأتِ؟ كيف هُنتُ عليكَ؟!» فأجابها:

- لم تهوني لحظة.

- إذًا كيف تركتني طيلة هذا الوقت؟!

- ألم تمنعيني من المجيء، وطلبتِ أن أتركَكِ وحدكِ؟

- إذًا هُنتُ عليك.

- كيف؟

- لأنكَ تركتني وحدي.

- ولكن..

- لا تبرر.

- آسف.

- متى تأتي؟

- متى تعودي القاهرة؟

- متى تأتي؟

- لقد كان اليوم إجازتي، ويؤسفني ليس لديّ إجازات مفاجئة.

- ولكني أحتاجكَ أكثر مما مضى، فلا تخذلني فيك.

- أعدكِ، غدًا سأحاول التفاوض مع مديرتي وسأوافيكِ بكل جديد.

- تصبح على خير.

انتهت المكالمة وانفجرت باكية واحتضنت الوسادة وتكورت في السرير، ولكن محمد انتفض من سريره وفتح دولابه فتذكر أن ملابسه كانت منذ قليل في الغسالة وجميع سراويله مبتلة على المنشر، فأخذ أحدها وبدأ يجففه بالمكواة، وعندما تجهز للنزول وجد جميع الجوارب مبتلة، فارتدى جوربًا قديمًا مثقوبًا من المقدمة ويخرج منه إصبعه، ثم انطلق لحبيبته وفي ظرف ثلاث ساعات ونصف كان واقفًا أسفل الفندق، اتصل بإنجي فوجد هاتفها مغلقًا، فاتصل بمرام لم ترد، فكرر الاتصال كثيرًا حتى استيقظت وأجابته، فأخبرها بوقوفه أمام الفندق، فقامت وأخذت مفتاح غرفة إنجي من الدرج ودخلت إليها ووضعت الهاتف على أذنها، فناداها محمد بلطفٍ «استيقظي يا صغيرتي، وافتحي عيونك وانظري إليَّ» وظل يدللها حتى استيقظت قائلة «محمد، أشتاقكَ»، وإن لصوتها النعسان أنوثة تُحوِل قلبه

لقطعة مارشميلو لحظة الذوبان.

أطلت من الشرفة تنظر للشارع فلم تره، فسألته «هل أتيت؟ أم تمزح؟» فأكد لها وقوفه أمام باب الفندق، فطلبت منه أن يتراجع حتى تراه، فعبر الطريق ووقف على الرصيف بين الطريقين، فرأته وصرخت من لدغ الفرحة، وعلى عكس طبيعتها كباقي الفتيات في التأخير عند التجهيز للنزول، لم تستغرق دقائق وكانت برفقة محمد، أقبلت عليه بنعومة الشروق وبهجته وسلمت عليه برقة تلامس الندى للزهر، فقال «لم أستطع النوم وأنتِ تشتاقين رؤيتي»، فأجابته بابتسامة حياء ثم عبرا الطريق إلى البحر، فقال لها «الساعة السادسة، وسأرحل في تمام الثامنة ونصف، ساعتان ونصف نريدها في الجنة، اتفقنا؟» فهزت رأسها فرحًا وموافقة وما زالت لا تستطيع التكلم من فرط نبض قلبها الراقص، وعلى ضوء الشروق الخافت والقادم من بعيد أعلى البحر تمشيا بحذر وهما ينزلان فوق الحجارة الكبيرة المكعبة حتى وصلا أقرب مستوى للبحر بين رذاذ أمواجه فجلسا جلوسًا يليق برجفة الحب الأولى وخشوع القلوب في محراب العشق، ثم تسلل الارتباك فصار سيد الموقف وهما ينظران للبحر، هو لا يعلم سر حاجتها إليه بهذه الدرجة وهي لا تعرف حقيقة ما بينهما ولا تعرف ما موقفه الآن منها شقيٌ أم سعيد، لحظات

صمتٍ باهتة، مالت برأسها على كتفه فاستقام حالها وانتظمت أنفاسها وقالت بكل راحة «وحدك أثق فيه أن يذكرني من أكون»، فكانت إجابته أن مال برأسه على رأسها فهمست له:

- من أكون؟

- أحلى ما في العمر.

- وماذا تكون بالنسبة لي؟

- عمرك الحلو.

- هل تواعدنا يومًا؟

- منذ لقائنا الأول تواعدت أرواحنا على البقاء معًا.

- وماذا بعد؟

- صار لنا في كل لقاءٍ وعد، اشتياقنا مليء بالوعود، الخاطر الخاطف لكلٍ منا وعد، حتى السلام بيننا وعد بأن كلا منا

مسئول عن سلام الآخر بكل معانيه.

- ماذا يعني لك اليوم الثالث والعشرون من شهر نوفمبر للعام السابق؟

سكت محمد، حاول التماسك لكن الفرحة المفاجئة طغت على ملامحه وهي تدعي الجهل، وكان الشروق قد ازداد نوره وأظهر أن لفرحة محمد شمسًا أخرى، أفلتت منه ابتسامة فأمسك زمامها وتنحنح مستعيرًا أعرض طبقة في صوته قائلاً..

- امممم تعرفيني لا أهتم بالتواريخ.

- محمد، لقد وجدتُ بغرفتي لوحة كبيرة عليها صورتكَ مع فلتة ومطبوع عليها تاريخ خطبتنا.

وأحكمت قبضتها على إصبعه المتوج بدبلتها فاتسعت ابتسامته وارتعش زفيره وهو يقول:

- ما الذي أحسستِه منها؟

- صدمة مرعبة.

- أقصد ماذا تمثل لكِ اللوحة؟

- وكأني وجدت صورة لي على القمر ومكتوب عليها أنني كنت رائدة فضاء ذات يوم.

انطفأت شمس محمد وبدأ الليل يخيم على ملامحه وانسدل حاجباه في انعقاد بطيء وهو يقول:

- ما سر حماسكِ لمجيئي؟

- أريدك أن تعرفني بنفسي وترتب لي عمري، أرجوك أخبرني ما تلك اللوحة.

- إنها..

- بربك، كن صادقًا، فأنا أرتب أحداث عمري بكلامك ولم أختر غيرك لأستأمنه على عقلي.

- لن أخزيكِ أبدًا.

- هل حقًا تمت خطبتنا منذ شهور؟

- أحبكِ.

ابتعدت خطوة عنه وارتعشت يداها وشفتاها وقد بدا الفزع على ملامحها، فربت محمد على كتفها فانتفضت وابتعدت خطوة أخرى وقد تكاثفت الدموع بعينيها وبحنجرة ترتجف قالت:

- أرجوكَ، كن أكثر لطفًا، تمهل ليس لديَّ غيركَ، وكلمات الحب تُرعبني.

- آسف.

- يوووه، لا تتأسف، أنتَ لم تخطئ لكني لستُ على ما يرام، من حقكَ أن أتأسف لك.

- لا أحد يتأسف على أخذ حقه.

- أنت أجمل مما أعرف.

- ماذا تريدين أن أفعل أو أقول؟

- احكِ لي عني.

وكانت إجابة البحر أسرع من صوت محمد، تلاطمت الأمواج بالصخور في عنفٍ كسر التوتر القائم بين العاشقين، وضحكت إنجي وقد ابتلت من كثرة الرذاذ ومدت يدها أمام وجهها، لقد كانت قسوة الموج ألطف ما ربت على قلبيهما، فاصل من الضحك في عز الوجع، وبعد أن انتهيا منه قال محمد «أعتقد من الأفضل، أن تحكي أنتِ وأنا أرتب ما يصعبُ عليكِ تذكره، أو أحكي ما لم تعرفيه»، فتبسمت إنجي قائلة «فكرة جميلة»، فلاحقها محمد «عندما أحكي عما بيننا هل أوضح أم أتغاضى عنه، ما الذي يريحكِ؟» فأجابته..

- يالله، كم أنت جميل يا محمدا

- أنتِ أجمل.

- صديقي، هل نسيت شيئًا غير ما بيننا؟

لم يتكلم، فقط احمرت عيناه وتجمهرت دموعه، ثم سحب

نفسًا طويلاً وعضَّ شفاه السفلى في زفيرٍ بطيءٍ يحكي مأساته بكل تفاصيلها، ثم فتح فمه وهَمّ بالتكلم لكنه خشى أن ينطق بشيءٍ مسيء لها، فأوقفَ لسانه وهزَّ رأسه نفيًا فانسابت دموعه بلطفٍ دباح بنصلٍ غير مسنون، ودون أن تشعر إنجي تصرف قلبها بما يكنه من حبٍ وتحركت يدها تمسح دموعه وقالت:

- نريد أن نَمُرَ من تلك المحنة بخير، أتحب أن أحكي أم أن بالك لا يروق الآن؟

- قولي أي شيء.

- متأسفة عن كل ما حدث بسببي، أتعرف يا صديقي؟ كل ما أشعر به الآن أن سراج تركني وسافر قبل زفافي بأسابيع أو شهر بالكثير، هذا كل ما يشعر به عقلي ولا أستوعب غيره، وأدركُ أيضًا أنكَ أقرب الناس لي، أتذكر جيدًا أنني منذ أيام حين سافر سراج سهرنا معًا في محادثة طويلة نمث خلالها دون أن أشعر، وحين استيقظت وجدتني أريد الحكي معكَ يوميًا، أشكو إليكَ حالي وأفضفض عن كل شيء دون خوف، وأتذكر جيدًا أن انفصالي عن سراج كان في ٢٠١٦، ومنذ أفقتُ في المشفى وأنا مقتنعة أننا في نفس العام وحتى الآن

التاريخ بالنسبة لي وهم، لا أصدق أننا في ٢٠١٩، لا أجد تفسيرًا لتلك السنين في عقلي، سنيني لا أتذكر منها شيئًا، وكيف وأنا مقتنعة بفراقي منذ أسابيع قليلة؟ تُريدوني أن أصدق أنها سنين؟ وأنني تعافيت من خوفي من الرجال وتمت خطبتي، إنني ما زلت أنازع سكرات الخيانة.

- إنجي، لا أريدك أن تُجهدي نفسكِ في أي شيء، سنعيش كما تريد ذاكرتكِ، المهم أن نكون معًا.

- بقاونا معًا مسألة غير قابلة للنقاش، ولكن لا تتعجل عليَّ وسامحني ليت الأمر بيدي.

- سأبقى معكِ مهما كلفني الثمن.

- هل هذا كلامك أم كلام سراج؟

- سأحكي لكِ عن كل شيء، ولكن أخبريني بما توصلتِ إليه بعد تفكيركِ وربط الأحداث؟

- أدركت قذارة سراج أكثر مما كنت أعرف، لا أتخيل وجود بشر بتلك الدرجة من الشر، ولكن لا أفهم كواليس الأحداث،

كل ما أفهمه كما قلتم أنني دخلت المشفى بسبب سقوطي من على السلم وفقدي الوعي، فقمت فاقدة ذاكرتي وظننت أني كما في أواخر ٢٠١٥ حين انقلبت السيارة وكنت مع سراج وأمه، فقمت متلهفة عليه، أرجوك سامحني، الآن أدرك شيئًا لا يذكر مما عانيت فيه لأجلي حين استيقظت في المشفى ووجدتكَ فطلبت خروجك من غرفتي ودخل سراج، من المؤكد أنك تعذب عذابًا كبيرًا، لقد تأسفت لك منذ عدة أيام على هذا الموقف وكنت أظنك صديقي، فما بالك وأنا أدرك الآن حقائق العلاقات؟

كان يسمعها كأبٍ يُجلس صغيرته في حجره، فقال لها «لا عليك يا حبيبـ»، وقبل أن يكمل كلمة «حبيبتي» قاطع نفسه وعدل كلامه قائلا «لا عليك يا صديقتي، أكملي الحكي»، فقالت:

- ما أفهمه الآن أنكم دبرتم لي لقاء سراج، ولكنه استغل الموقف أسوأ استغلال وحاول أن يفرقنا ويكرهني فيك، ومن الواضح أنه كان ينتقم منكَ ويستنزفكَ في كل شيء، وأيضًا كان ينتقم مني حين أقنعني بأنني لا أعرف شيئًا عن فن الأراجوز، لقد تذكرت كل حفلاتي حين شاهدت سراج مع السكرتيرة.

- الحمد لله الذي عجل بموقف السكرتيرة ليعيدكِ لنا، ويبعدكِ عن سراج.

- الحمد لله أنني رأيتكَ تضربه.

وظلت تحكي له عما تُدركه، وانساب الكلام منها كما كانا صديقين، وعندما أنهت كلامها وسألته «ها قد أخبرتك كيف أرى الأحداث، رتب لي العمر يا صديقي»، فقال لها «يبدو أن أسطورية قصتنا تشابهت مع ألف ليلة وليلة عندما يؤذن الديك وينتهي الحكي، الآن الساعة الثامنة والنصف ويجب أن أذهب عملي».

فعبست ملامحها في دلال وقالت:

- قلبي مشغولٌ على رجوعك القاهرة دون نوم.

- سأحاول النوم في الطريق.

أتحبين أن أحكي لكِ في الهاتفِ؟

- أكره التكلم في الأمور المهمة هاتفيًا.

- لم تتغيري يا صغيرتي.

- سأخبركَ سرًا يا صديقي، لقد اشتريتَ الليلة خاطري بدرجةٍ لم أتوقعها، بدرجةٍ تجعلني أحبكَ من البداية..

إن كان هذا الموقف فقط هو كل ما بيننا، فما بالكَ وقد عرفتُ الآن كم بذلت لأجلي من تضحية ووفاء لن يصدقهم أحد، يا محمد إنكَ رجلٌ أسطوري أكثر من هيرقل وسندباد، ما زلت لا أستوعب أسطوريتك يا محمد، ورغم أنني لا أستوعب أن أكون في علاقة مع أحد، ما زلث أستيقظ أبكي من خيانة سراج، أعلم أن الأمر ليس سهلا وكنت أتمنى أن أتذكر ما بيننا لكنه قدر الله، أرجوك لا تستعجل شفائي وأعدكَ أن تجد مني ما يستحقُ تضحيتك ووفاءكَ لي، سأقاتل من أجلكَ ولن أستسلم، ثق بذلك.

- أثق في قلبكَ أكثر مما تتخيلين.

- من المؤكد أنني أحببتكَ بدرجة لا توصف، كوني تغيرتُ لأجلكَ ولنت لعلاقة عاطفية، فهذا يُثبتُ عظمة حبي لكَ، وأتمنى أن يعود قلبي وألين وأتعافى من أجلك.

- إنجي، قلبي قال لي إنك راجعه، وقلبي مابيكدبش.

قالها وصوته مخنوقٌ بالبكاء فأصرت أن توصله لمحطة القطار، لكنه رفض خوفًا من رجوعها بمفردها، ووقف أمام الفندق حتى صعدت وأشارت له من الشرفة، وعندما بدأ يخطو قالت له «أعدكَ، سأحارب من أجلك، ولكن تذكر أن الأمر شبه مستحيل الآن، لكني سأراود نفسي وسأتعافى من أجلك».

(١١)

يقول الراوي : طريق الرجوع كان مبتسمًا من فرحة محمد رغم إرهاقه وثقل رأسه لقلة النوم، لكن فرحته من بوادر محاولة إنجي للتعافي كانت تفوق كل شيء، وعلى النقيض كانت إنجي، حيث دخلت على مرام غرفتها وظلت تبكي وتصرخ وتشهق مكررة كلامًا ينفي استيعابها للارتباط باسم رجل وتنفي وجود علاقة عاطفية تصلح لها، وتبكي وتتعجب من حالها كيف صارت خطيبة محمد، لم يستوعب عقلها هذا التناقض مع قناعاته وفوبيا الارتباط.

وعندما وصل محمد القاهرة كانت إنجي قد خارت قواها من فرط البكاء ونامت في حضن مرام، ثم نزل محمد من السيارة وعيناه ناعستان وعقله خامل فنسي شاحن جواله في السيارة ومضى إلى عمله بعد أن اشترى علبة كشري، وعندما هاتف إنجي ولم ترد على الاتصال أرسل لها رسالة يطمئنها، وفي نهاية يومه كتب رسالة جديدة: «للمرة الثانية تنتهي الأظرف التي أشتريها مع أنني اشتريت في المرة الثانية ضعف الأولى، ولكن الرسائل زادت عن الحد الذي تخيلته، وهذا يُبشرني باقتراب موعد قراءتكِ أيامي التي لم

تسأليني فيها كيف كان يومك، ما يهم، العمل يسير على ما يرام، لا جديد في الأحداث، ولكن الجديد في تأملي تكرار الأحداث وتحليلها، لقد اكتشفت أن كبار اللصوص يسمحون للصغار بالنصب ليمرروا صفقات أكبر، ولأن الصغار يُحبون الثرثرة ويُسوقون لمصالح الكبار دون وعي.

مثلاً الشركة لديها حوالي أربعين مليون عميل تسرقهم كل صباح ومساء بسحب نصف جنيه على الأقل من كل عميل مقابل وضع خدمات تافهة مثل المسابقات والكول تون، ومن بين الأربعين مليونً ما يقل عن الثلاثة ملايين عميل يتصلون لإلغاء خدمات قاموا بتشغيلها لكنها لم تُعجبهم، فيتهمون الشركة بالسرقة والنصب، ولأن التسويق أذكى فإنه يجعلنا نعتذر لهذه النوعية من العملاء ونرد لهم الرصيد الذي استخدموه بكامل إرادتهم فيفرحون ويشيعون في الناس أن الشركة ساذجة ومن السهل سرقتها، وهل يريد النصاب أكثر من نعته بالعبط والسذاجة؟ والأعجب أن الملايين الذين يُسحب رصيدهم مقابل خدمات لم يطلبوها لا يتصلون ولن يتصلون لأنهم مشغولون عن نفسهم ويتكاسلون عن حقوقهم.

توصلت أيضًا إلى أن الطمع هو سر مكسب الشركات

الكبيرة، فالمستهلك يطمع لأخذ أكبر شيء حتى لو لم يحتاجه ويظن ذلك ذكاء، والأدهى أن الشركات تقنعه أن اختياره هو الذكاء المصفى، لقد أصابتنا هيستيريا ضحك من عرض اليوم وهو دفع عشرة جنيهات وأخذ ألفين دقيقة هدية، ولا تسأليني كيف اقتنعت الملايين بأن الهدية تُشترى، وأن العرض لمدة يومين فقط، فهل هناك من يتكلم أكثر من ثلاثة وثلاثين ساعة في اليومين، وإن من براعة التسويق أن يبحث عن أكبر عدد ويضع أمامه أصغر وحدة قياس، فبدلا من قول ثلاثة وثلاثين ساعة قال ألفي دقيقة، والقانون لا يحمي المغفلين ولا يحمي العملاء من فخ المسوقين، لا أخفيكِ سرًا لقد تذكرت وأنا أكتب الآن أنني أشتريت عرض خمس علب تونة بسعر علبتين، وكان متبقيًا على تاريخ انتهاء الصلاحية يوم، وبالتالي لم آكل الخمس علب، لقد ألقيت أربعة في القمامة، ولكني كنت منتصرًا من داخلي، أرجوكِ اضحكي في صمت».

* * *

تبسم الراوي واخترقت عيناه حدود التفكير فغاب عن الواقع قليلا وهو يبتسم قائلا: هل جربت يومًا أن يحكي لك أحد حياتك التي لا تعرفها؟ وقبل أن تجيب هز الراوي رأسه

وأكمل، إنجي جربت ذلك عندما عادت إلى القاهرة واستقبلتها أسرتها استقبال الفاتحين، وبدأ محمد في لقاءات استرجاع الماضي واستحضار قصة حبهما، بدأ معها بقصتهما من بدايتها وطاف بها جميع الأماكن التي احتوت فصول قصتهما، وكانت البداية من أمام مسرح الهوسابير بميدان رمسيس.

يا حبيبتي في هذا المسرح كان لقاؤنا الأول، والوميض الأول لإشعال فتيل الغرام بيننا أو بالأخص فتيل غرامي وانجذابي إليك، قد كنت شابًا لا يطمح لأي شيء، أترك روحي هامدة لأمواج الأيام دون شراع يحدد اتجاهي ولا خطة لوجهتي، كان يومي أكلا وشربًا ونومًا ومقهى، وبكل روتينية تدرجت في دراستي ولم أتفوق يومًا على دفعتي، ولم أكن الطالب المميز في أي شيء، فلم أكن الفاشل المميز بفشلة وبلطجته، ولم أكن الكسول المميز بوخمه ونعاسه، ولم أكن المتفوق المميز بإقدامه على الإجابات، كنت مجرد رقم في كشف الطلاب، وأثناء دراستي بالجامعة لم أطمح لمنصبٍ أو وظيفة مع أني توليت الإنفاق على نفسي، لكني لم أطمح للتدرج في مجال أو الوصول لمكانة وظيفية، بالكاد كنت أجمع قوت يومي من أشغال لا تحتاج عباقرة، يكفيها التأقلم مع الروتين، وذات يوم وأنا في السنة الأخيرة لجامعتي كنت

برفقة صديقٍ يحب التمثيل ومغرم بالفن أتى لهذا المسرح بسبب إعلان اختبار ممثلين، وكنت لا أعرف كلمة «لا» فأي صديق بمقدرته أن يصطحبني لأي مكان ولأن وقتي لم يكن له ثمن فلم أكن أعرف الرفض، ما يهم أنني أتيت معه ودخلنا بين زحام المتقدمين، وبينما نحن في انتظار دور صديقي وكان يتدرب على ما سيقوله أمام المسئولين، وكان متوترًا كباقي المتقدمين لدرجة عبوس ملامحهم، فكانت مناظرهم تضحكني فسخرت من صديقي بنبرة عالية وحاولت تهوين الأمر عليه، وقلت الجملة التي يتدرب عليها، أذكرها جيدًا وهي «أهلا بأصحابي الحلوين، كبار وصغيرين، ولأن اليوم خميس وبكرة إجازة، هنتكلم في مواضيع مليانة لذاذة، بعيدًا عن السياسة والدراسة والمواضيع الفراسة»، وبينما أنا في سخريتي أوقفني خبط على كتفي فالتفت فكان «سراج» يسألني عن اسمي وطلب مني الانضمام للفريق دون اختبار لأشارك في حفلات الأطفال، وقتها تعلمت أن البساطة كنز لا يفنى، وأن النصيب يعرفك جيدًا.

وفي اليوم التالي كان لقائي الأول بكِ في اجتماعٍ مع المقبولين، دخلت غرفة الاجتماع وأول ما رأيته هو أنتِ، فسكنتِ قلبي دون إذن وتملكتِه دون مفاوضة، كان معكِ أراجوز تكلمتِ به مع المقبولين ليتم اكتشاف أكثرنا تفاعلا

معكِ، فزتُ أنا بكِ، وكان هذا اليوم الأول الذي أجد لتفاهتي معنى، وجدت حظي يكمن في تفاهتي، إن عدم مسئوليتي تجاه أي شيء هي ما أهلني لمرافقتك، ومن يومها صرتُ مسؤلا عنكِ.

بالمناسبة بعد فترة طويلة بعد أن صرنا أصدقاء وأثناء فضفضتنا أخبرتكِ بأني رأيتكِ قبل أن تريني، فأخبرتني أنكِ لمحتِني قبل دخولي غرفة الجتماع عندما كنت بالطابق السفلي ومررت من أمامكِ فلفت انتباهكِ ارتدائي أحد ألوانكِ المفضلة وقد كانا الكحلي والبني، هذه مجرد ملحوظة، لنعود لترتيب قصتنا، بعد أول لقاء أمسكتُ الدمية التي كنتِ تحركينها وقلت لكِ «جميل هذا الأراجوز» فغضبتِ مني وقلتِ «اسمها عروسة»، فسألتكِ:

- لماذا تكرهين كلمة أراجوز؟

- لا أكرهها، بالعكس أحبها جدًا، وقدمت عروضًا كثيرة بالأراجوز، لكني أحب تسمية الأشياء بأسمائها، وهذا ليس أراجوزًا إنه عروسة مابيت.

فتبسمتُ وقلتُ «ما علينا، جميل هذا الأراجوز»، وكان هذا

أول تشابك بيننا بكلامٍ صنع تفاصيل علاقتنا، فقد اكتشفتُ أنكِ تكرهين كلمة أراجوز، والمضحك أنني لم أقتنع بكلمة عروسة، وبقيت هذه إحدى خلافاتنا المضحكة والمتكررة.

ثم تكررت لقاءاتنا، وتشابكت شباكنا وتآلفت عقولنا، أتعرفين يا إنجي؟ من أول حوار بيننا كان كلامنا يكمل بعضه البعض، شيء ما في أرواحنا تجاذب والتحم فسهل على ألسنتنا ربط قلوبنا، لم تكن كيمياء عاطفية فقد كان لكلامك حدود داخل العمل والبروفات فقط، ولم تكن عيناكِ تأذنان لي بالاقتراب أكثر من حدود الزمالة، وكنت في كل يوم قبيل لقائكِ أقسم إنني سأصارحكِ بحبي ثم أحنث في قسمي، أخبرتكِ أنني كنتُ شخصًا تافهًا عديم التأثير ووجودي شفاف، نعم كنت مجرد كائن شفاف لكن وجودك جعل لي حيزًا وألوانًا، وجدتني أحتقر نفسي كلما أقدمتُ على مصارحتكِ بحبي، لم أرضَ عني لكِ وأنا شخص غير مسئول، فبدأتُ التأمل في نفسي وحياتي وأحاول إيجاد هدف لأنفاسي، في البداية كنتُ أتصنع التفكير ومع الوقت تعودتُ وصرت أخطط لأيامي جيدًا، فبدأت في ادخار أموال والاهتمام بالعمل، وبالنسبة لتنظيم وقتي وجدته يكمن في كلمة «لا»، أن أقول لا لأي شيء يحيد بي بعيدًا عما أريده ليومي، وعندما اهتممتُ بالوقت صار لحياتي قيمة.

وبقيت أراقبكِ بعين طفلٍ محرومٍ ينظر للحلوى والملاهي، وبعد عدة شهور قررت أن أصارحكِ بحبي دون رجعة، أمسكتُ هاتفي واتصلتُ بكِ فوجدتكِ منهارة في البكاء وأخبرتِني أنني اتصلت في موعدي، ثم أخبرتني بأنكِ جالسة على الرصيف في أحد الميادين العامة ولا تستطيعين الوقوف فقدماكِ مرخيتان لعدم تحمل أعصابكِ مصيبة ألمت بكِ، فأتيتُ إليكِ مسرعًا وكان هذا ثاني أهم مكان لقصة حبنا، وقبل أن أكمل، أتعرفين أنني ممنون لكل الأماكن التي جمعتنا؟ وكلما مررتُ بمكان جمعنا همس قلبي «شكرًا للأماكن التي تذكرنا بأنفسنا بعد أن نسينا من نكون»، لنعود لقصتنا من حيث المكان الثاني:

إنه ميدان الحصري، كنتُ سندك وحصنكِ حين التقيتكِ منهارة، وعندما هدأتكِ انهرتُ أنا، فقد كان على شفا شفتي الاعتراف بحبي لكِ في عز بكائكِ، لكن كل شيء تبدد وأنتِ تخبرينني بأن خطيبكِ سافر بعد أن دنا زواجكما وكنتما على وشك الإعلان للمعازيم وتفجير المفاجأة، كان هذا اليوم بداية قربنا الحقيقي وتحولنا من زملاء لأصدقاء، فقد كنتِ بحاجة للفضفضة مع غريبٍ، وكنتُ أنا صاحب النصيب، بدأ قربنا بالبعاد، ومر عامان في كل يوم يزداد قربنا سنين

ضوئية لكن تحت بند الصداقة والأخوة، وكان هذا يوطد فوبيا الارتباط وخوفك من المواعدة وتحديد موعدٍ للزواج، فكنتِ تنهارين باكية لمجرد أن يفاتحكِ أهلك بأن شابًا يطلب التقدم لخطبتك، وكنت أنا الذي يُلملم بعثرتكِ، ولقد أحببتكِ في الخفاء بقدر تشتتكِ، ولأني أحببتكِ ارتضيت أن أتعايش تحت أي مسمى وقتلت بنفسي رجولتي في عينيكِ، وفي نفس اللحظة نفيث أنوثتكِ من لساني فكان كل كلامي لكِ بصيغة المذكر، وبالتدريج بدأ لساني يتغير مع جميع الإناث فصرت أناديهن بضمائر الذكور، لقد محوت تاء التأنيث من قاموسي لأجلكِ، وكان هذا سر قربنا فأنتِ لم تشعري لحظة أن ما بيننا علاقة شاب بفتاة، كانت علاقة أنقى من الشهوة وأصفى من العواطف، ولقد عانقتكِ في خيالي كثيرًا لأبدو أمامكِ بهذا الثبات، وصار كل منا هو أساس حياة الثاني، ومن يوم ميدان الحصري توقفتِ عن العمل في مسرح الهوسابير فترة طويلة، ثم عدنا معًا للعمل في عدة مسارح، ولم يعد المال يشغلني وصار كل هدفي مرافقتكِ أينما كنتِ، أتعرفين يا إنجي؟ لقد كنتُ أنفثُ طاقة حبي في الأراجوز، في الاسكتشات التي نقدمها على المسرح دائمًا، كان يحمل كلامي معاني يفهمها قلبي فترطب مشاعري وتسكن وخز الكلام المكبوت، كنت دائمًا بعد كل حفلة آخذ الأراجو وأتحسس موضع يدكِ داخله وأغوص في أثر رائحتكِ فيه،

وكثيرًا ما أخذته البيت معي لأنام في أحضانه، نعم كنت أختبئ في حضن الأراجوز لأن فيه أثرك، وبقينا على هذا الحال حتى جف صبري ونفدت قواي في تقمص دور الأخ وارتداء أقنعة تخفي ملامح عشقي، وبدأ الرحيل يقرع أجراسه في عقلي، ورغم أني أخاف فراقك وأخشى إيلامك ببعدي لكني جاهدتُ قلبي ورحلت، ولأني لست جريئًا في إعطاء الفراق حقه فقد تعللتُ بأن المسارح لا تعود عليّ بمال يكفيني لبدء مستقبل، وأعلنتُ أنني أريد بناء أسرة وبدأت البحث عن عمل بعيد عن مجال المسرح وحفلات الأطفال، ولم آخذ وقتًا طويلا بعد قراري هذا، ولم أتعاطف مع رد فعلك تجاهي كأني أخونكِ وأيضًا تؤكدين أن ما بيننا أخوة.

تركتُ المسرح وبدأتُ عملي في أحد المصانع كأول وظيفة قابلتني حتى أجد أفضل منها، وبدأ انشغالي وكنتُ متعمدًا في قتل أي فراغ، فكنت أعمل ضعف وقتي لأمحو أي فرصة للتفكير فيكِ أو للقائك، لن أنسى بطء الوقت في بداية البعاد، إننا لم يكن يمر علينا يومان دون لقاء ولكن الحال تغير، وبدأ أول أسبوع دون لقاء، وحين قابلتكِ في إجازتي كانت ملامحكِ فضاحة لحبكِ واشتياقكِ، ولكن لسانك كذاب أجبرني على إطالة البعاد وأخبرتكِ بأن علاقتنا ستفسد أي محاولة لبنائي أسرة فلن توجد عاقلة ستوافق على الزواج

بي وترضى بقربنا.

يا إنجي إن كان الإقلاع عن المخدرات ينخر في الجسد، فما بالك بالإقلاع عن شخصٍ أحببته؟ لقد كنت أتلوى في فراشي كالممسوس وأبكي دون صوتٍ أو دموع، كل ما فيَّ يبكي إلا عيوني، ولكني ابتعدتُ.

وعندما مر شهر على انقطاعي متعللا بالعمل متهربًا من كل مقابلاتكِ، وقتها تضاعف ملاحقتكِ لي، ولأتفادى ملاحقتكِ كنت أجعل جوالي على الوضع الصامت خاصة عند نومي، وذات يوم استيقظت فوجدتكِ اتصلتِ ستًا وثلاثين مرة، فقلقتُ عليكِ وهاتفتكِ فأخبرتيني أنكِ في انتظاري بمحطة المترو التي سأركب منها، وهنا يأتي أهم ثالث مكان لقصتنا..

محطة مترو حدائق الزيتون،

كان لقاءً متضارب المشاعر متضاد القرارات، أحبك وأكرهك، أريد قربكِ وفراقكِ، أريدكِ في كل أيامي وأريد أن تتلاشي من حياتي، أراكِ ضحية وطاغية، مشفقٌ عليكِ بسبب صدمتك من الارتباط وفي نفس الوقت لا أستطيع مسامحتكِ لأنكِ لم تأمني لي رغم كل الذي بيننا، وعندما

عبرتُ بوابة المحطة قررتُ أن أتظاهر بعكس ما فيّ، فأقبلتُ عليكِ وقد فتحتُ بوابة ابتسامتي على آخرها وبصوتٍ يتجلجل رحبتُ بكِ ثم أخبرتكِ بجنونكِ في تحديد موعدٍ مفاجئ لن يستغرق أكثر من ربع ساعة، لم تجيبي على مهرجان صوتي وبقيتِ صامتة تتأملينني، وكلما طال صمتكِ زودتُ كلامي خوفًا من أن أسكت فأنهار بين ذراعيك لكنكِ قاطعتِني بصوتٍ يحمل الأشواق والحنين واللهفة وقلت «ارجع لي»، فسكتُ فجأة وزاغ بصري بعيدًا وصار الصمت ثالثنا، وبعد لحظاتٍ قلتُ وأنا لا أجرؤ على النظر إليكِ «إنجي، أريد أن أعيش حياة طبيعية». فقلتِ:

- الأيام صعبة بدونَك.

- أيامي أصعب معكِ.

- لقد اكتشفتُ أني أحبك.

- لأني بعيد، وعندما نعود ستكتشفين أنكِ تعودتِ على وجودي فقط.

- هل هناك فارق بين الحب والتعود؟

- فروق أكثر من الماء والنار، إن السجين والسجان تنشأ بينهما علاقة تعوّد، وربما لو تغير السجان فسيبكي السجين على فراقه ويشتاق لأيام عذابه، لكن الحب ألا تجد نفسك إلا في حضرة من امتلك قلبك.

- إذا فأنا أحبك، وليست علاقتنا تعود.

- لقد انتهينا.

- لن أترك علاقتنا تنتهي.

- وأنا لن أبدأ مرحلة جديدة من تعذيبي.

- من أين أتيتَ بتلكَ القسوة؟

- من تجاهلكِ مشاعري.

- لم يكن الأمر بيدي.

- ولا بيدي.

- أتعاقبني على مرض؟

- لم ألومك، ولن ألومك، لكني سألوم نفسي إن كررنا سنواتنا الماضية.

- أرجوك، امنحني فرصة لأثبت لك أنني لن أخزيك.

حاول أن يتماسك لكن أنفاسه شهقت وهو يقول «من يضمن لي بقاءك بهذا الشغف؟» فكانت الإجابة عناقًا، هنا كان العناق الأول، لا أدري من جذب الآخر بين ذراعيه؛ لأن قوة بيننا جذبتنا وتلاحمنا ونزلت دموع كل منا على كتف الآخر وتوحد نبض قلبينا فلم نفرق دبيب قلب من فينا وفي أي جسد دخل النفس أو خرج، وقبل أن نعود جسدين همست في أذنك «اليوم بعد العمل سآتي لمقابلة والدكِ حتى لو في منتصف الليل» فقلتِ «أرجوك، لا تتأخر».

كانت هذه أول مرة نفترق وأول مرة نعود، يومها كانت كلمتي المتكررة «لو كنت أعرف أن البعد سيقربنا، كنت سأبتعد من زمان»، وكانت إجابتك «لقد أحببتكَ لأنكَ لم تتخل عني».

ثم أوصلتِني العمل، وبالفعل أتيث بيتكِ يومها، وكانت الفرحة غير المخطط لها أجمل من أي توقع، كان لقاءً خفيفًا منعشًا للروح، وكان أبوكِ مرحبًا ودودًا، ورغم أنه يعرفني من سنين وسيرتي في بيته كأحد زملاء ابنته، لكنه أحب أن يسمع مني الصيغة الرسمية التقليدية لطلب الزواج من ابنته، أنتِ يا إنجي، لم يكن لساني قادرًا على قول الكلام صريحًا رغم أني هاتفت أباك قبل مجيئي وأخبرته بأني أريد التقدم لزواجكِ، ولكن حين جلسنا طار مني الكلام وانعقد لساني وتبخرت أفكاري فقلت «حضرتك تعرفني جيدًا، وتعرف ما أريد»، فضحك بلطف وقال «مثلما تريد الاستمتاع بكلمة الموافقة على طلبك، فأنا أريد الاستمتاع بسماع طلبك»، فبلعتُ ريقي وشبكت أصابعي ثم ملأت رئتي بأكبر قدر من الهواء وقلت «يشرفني أن أطلب يد ابنتك إنجي على كتاب الله وسنة رسوله»، فقال «لن أجد أأمن عليها منك، وطالما إنجي وافقت عليك فأنا موافق، يكفي معرفتنا بأخلاقك وأسرتك».

أذكر جيدًا كمية التوتر التي كنت فيها يوم تقدمت لخطبتك، وأذكر أكثر احتواء والدكِ في معاملتي، كان أبًا بكل ما تحويه الكلمة، ولأنه يعرف قيمة ابنته جيدًا لم يغالِ في مهرها ولم يطلب طلبات تعجيزية، وأخبرني أنه بدأ حياته

من الصفر وأن علينا أن نشتري الضروري للعيش فنحن سنجهز بيتًا لبداية حياة ولسنا نبني مقبرة فرعونية نجمع فيها ممتلكاتنا، ثم اتفقنا أن الأسبوع القادم زيارة بصحبة أسرتي لنقرأ الفاتحة.

وفي اليوم الثاني كانت مقابلتي في شركة الاتصالات العالمية وتم قبولي فأحسست أن الوظيفة رزق الزواج، وبقينا في انتظار أن تخبرنا الشركة بميعاد بدء التدريب لأترك الوظيفة الحالية، وأيضًا بدأت أدفع الأيام متلهفًا ليوم الإجازة، وأخيرًا أتت فكانت زيارة أسرتي لكم، أمي وخالتي وأخي، وعن أول لقاء لأسرتينا كنا دائما نقول «ناس لقوا بعض بعد توهة»، قرأنا سورة الفاتحة وصار حبنا على المشاع بمباركة الأهل، وأجمل ما في هذا اليوم هو رؤيتي أمي تعانقكِ فقد كان لقاءكما الأول رغم مهاتفاتكما كثيرًا، ورغم طلب أمي المتكرر أن تراك، وأنتِ أيضًا دائمًا كنتِ تريدين أن تلتقيها لكن السنين مرت وكان هذا لقاءكما الأول، أما عني فقد التقيت أسرتكِ كثيرًا في حفل زفاف أخيكِ وفي عدة مناسبات، سأخبرك السر في تعطيلي لقاءكِ أمي قبل اليوم؛ لأني كنت أنكر حبكِ أمامها طيلة السنين حتى أقنعتها أنكِ مجرد زميلة كأي بنت عرفتها في العمل وصدقتني أمي، لذا لم أجمعكما حتى لا ترى الحقيقة، لم أكن أريد أمي أن تتألم

لي حين تعرف بحبي لكِ وحرماني منكِ أيضًا، فالحمد لله الذي أطال في عمري حتى رأيتكما معًا، أتعرفين؟ كانت أعصابك متحجرة لحظة دخول أسرتي بيتك لكن عناق أمي ألانك.

اتفقنا أن نشتري خواتم الزواج وفي أقرب وقت نحدد ميعاد حفل خطوبتنا، ولأني أعرف ما بكِ كنت بحاجة لتقصير وقت انتظارك حفلنا، فاتفقث مع أمك أن نشتري الخواتم قبل ميعاد عملي أثناء الأسبوع وبالفعل جئتِ مع أمك ومرام، والتقينا في أهم الأماكن التي شهدت صداقتنا، إنه شارع المعز لدين الله الفاطمي، وهو شارع أثري مشهور بالصاغة، وبعد أن طفنا على الصاغة واشترينا التيجان، نعم إننا نسمي خواتم حبنا تيجان، ثم جلسنا أمام جامع الحاكم بأمر الله وأكلنا أكلتنا المفضلة، إنها «كريب».

ولأني أعرف مدى خوفكِ من زحام الأقارب في حفل إعلان خطبتنا، فقد اقترحت أن تقتصر على أسرتينا فقط بالإضافة لخالاتي الثلاث فهن رفقاء أمي ومعهم خالي وأعمامك، دون أي شباب يكفي أخوتنا، ولقد أسعدكِ هذا الاقتراح وانتهزت فرصة قلة المعازيم واتفقنا أن نجعل الحفل في الإجازة القادمة، نعم من بعد عناقنا في محطة المترو تم كل شيء

في أسبوعين، ويا لروعة حفل خطبتنا، توقفت سيارات أهلي أمام بيتك ثم دخلنا، وكان أبوكِ وأخوكِ في انتظارنا في الطابق الأول، وقد اعددتموه لحفلتنا ففرغتموه من الأثاث ووضعتم بعض الكراسي، ولأول وهلة دخلت فلمحت على الحائط ورودًا ورقية من صنع يديكِ، ثم رأيت لوحة كبيرة معلقة وفيها صورتي مع أراجوزنا «فلتة» ومكتوب عليها ميشو خطب فلتوت، وأسفل اللوحة منضدة جالس عليها أول شاهد على حبنا، إنه فلتة، وكان مرتديًا بدلة وبابيون، أحسست أن فلتة ليس أراجوزًا، فقد كانت السعادة تملأ ملامحه أكثر من أي شيء، وبقيت على حالي أتامل الزينة المصنوعة بيديكِ واللوحة وفلتة، ثم تبسمتُ ضاحكًا وقلت لأهلي «كل هذا لي» فرأيت سعادة كبيرة في أعين الجميع، لكن سعادتي أكبر من مجموع سعادتهم، لقد تساءلت لحظتها متى صنعتِ كل هذا، كيف أنجزتِه في وقتٍ بسيط، إن الوقت الذي صنعتِ فيه الزينة كان أقل من وقتكِ الطبيعي في شرائكِ الورق والألوان، لقد رأيت في إنجازك مقاومة من نوعٍ جديد لإثبات حبك لي، ثم جلس الجميع في ترحابٍ وتعارف، وجلست أنتظر ظهورك بين ألوان ورودكِ المتناسقة مع ملابسي التي اخترتِها لي، سروال لونه بني وتيشرت بطيخي فاتح أو كما تحددين أن لونه روز، أما البليزر فلونه لبني، وبعد أن انتهى التعارف ولم تطلي علينا سألت أمكِ عنكِ

فتبسمت قائلة «عروستنا بتجهز» ثم صعدت إليك وبعدها بدقائق سمعنا الزغاريد، فخرج أبوك وأتى بكِ فخطفتني ملامحكِ ووقعت في حبكِ من جديد، ثم بدأت الرؤية تتضح لي فوجدت ألوانكِ متناسقة مع ملابسي والورد، فستانٌ لونه بيج فاتح أو كما تقولين أوف وايت، وعلى كتفكِ الأيمن وشاح طويل لونه بطيخي غامق أو كما تقولين بامبي، وعلى كتف الفستان الأيسر فرع من الورود الرقيقة بلون أغمق من درجة الوشاح، كنتِ ملكة.

كان حفلا بلا صخب هادئًا يطرب الروح والجميع سعداء، باركونا وبعد أن ألبسنا بعضنا التيجان أشرتِ لأختكِ فقامت بتشغيل تسجيل صوتي بصوت شخصية كارتونية سجلتِه للترحاب بجميع الحضور كل فرد بما يخصه في حياته وعمله وأبرز ما يُعرف عنه، فكانت المفاجأة أكبر من استيعابي، وبعدها التقطنا الكثير من الصور المبهجة، لقد صرتِ خطيبتي حبيبتي أمام الجميع.

لقد تحولتِ يا إنجي، كان للحب تأثير عليكِ يفوق المكياج وعمليات التجميل، تغيرت ملامحك وصارت أنعم، صدق الأثر الذي يقول «تُزهر الفتاة عندما تعشق»، اكتشفت أني لم أكن أعرف جمالك قبل أن تعانقيني، وصارت أيادينا تنجذب

فور اللقاء ولا نشعر بملامسة أيادينا إلا إن تباعدت فنشعر بالغربة، صار كل منا سكن الآخر ووطنه.

لن أخدعكِ في قصتنا، لقد كانت تصيبك نوبات خوف على فترات متباعدة، وكان هذا سبب الوعد الموشوم حتى تطمئني لمواعدتي.

(١٢)

يقول الراوي: استقبلت إنجي قصة حبها مثلما استقبلتها أنت، كل شيء جديد عليها، حتى الحكي عن تفاصيلها وطباعها وتصرفاتها كل شيء جديد، وكأنك تشاهد فيلمًا في السينما أو تقرأ رواية، القصة جميلة لكنها ليست أنت.

ولقد حكى محمد القصة على مدار شهر في أيام إجازاته، طاف بها الأماكن التي جمعتهما، فكان أشبه بمرشد سياحي يشرح تفاصيل بلدٍ جديد وحضارة غير معروفة لسياحٍ لم يسافروا من بلدهم قبل هذه المرة، وكان الحمل ثقيلاً على إنجي وهي ما زالت تنازع أعراض الخيانة والفراق الأول لسراج وما زالت في ضلالها القديم بتفاصيله الموحشة، وفجأة اقتطع عقلها الزمن وصار عليها أن تستوعب ما يتم حكيه لها، وكانت مقدرة لمحمد كل ما فعله من أجلها فحاربت بكل قواها من أجله، في كل لقاء تستمع جزءًا من قصتها التي من المفترض عاشتها، وليمر الوقت كانت تحاول إقناع نفسها أنها تسمع قصة لأشخاصٍ لا تعرفهم وعندما تعود البيت تنهار، تشهق حتى تشرق، وتبكي حتى تهمد وتنام، ولقد أخذت على عائلتها ألا يبوحوا بأي شيء لمحمد

حتى لا يكره نفسه مما يحدث لها في كل مرة تعود من حكاويه ومحاولة استعادة ذاكرتها، مر الأسبوع الأول دون أن يعرف محمد شيئًا عن كواليس إنجي وانهيارها من حكاويه، ولقد بلغ الأمر أن اتفقت إنجي مع أمها أن تحكي لمحمد عن سعادة إنجي في البيت وأنها فخورة بما يُحكي عن قصة حبها ومستمتعة بالتجربة الغريبة التي طرأت على حياتها بأن تحيا حياة يحكيها شخص آخر ولكل التفاصيل دليل، لقد مر الأسبوع الأول ومحمد يصدق فرحة إنجي، لكن في الأسبوع الثاني حدث ما لم يتوقعه أحد، كانت أحلام أخت إنجي تلاعب ابن أخيها بالكرة في صالة البيت فركلها بقوة وكان باب الشقة مفتوحًا فطارت الكرة وتبعتها أحلام، لكن الكرة كانت أسرع وتدحرجت على السلم وتلاطمت بين الحوائط حتى نهاية السلم فدخلت غرفة التخزين واستقرت فوق فوهة الدلو الأخضر، وعندما وصلت لها أحلام ومدت يدها أخذتها فلمحت تحتها شيئًا يعكس الضوء، مدت يدها داخل الدلو فوجدته هاتف إنجي الذي سقط من يدها حين وقعت على السلم، لقد تفحصوا الهاتف فوجدوا الشاشة مليئة بالشروخ ولا يعمل ولكن كارت الذاكرة سليم، ومن هنا بداية أخرى ومرحلة متطورة من الصراع الإنساني المتداخل بين من أكون وبين ما تتذكره وما فعلته، لقد تفحصت إنجي ماضيها بين الصور ومقاطع الفيديو، وحين فتحت ملف

اسمه «أيام لا تُنسى» وجدت فيديوهات لنفسها تحكي عن ذكرياتها يوم حدوثها، تارة تحكي بلهفة تتشوق للغد للقاء محمد وتصف فرحتها الطفولية، وفيديو آخر تحكي أن محمدًا اصطحبها لشارع المعز لدين الله الفاطمي، وحين عبرا بوابة النصر نزل على ركبتيه وأخرج لها من حقيبته وردة فيها ورقة صغيرة، فطارت بعيدًا فقام يركض خلف الورقة وانقلبت اللحظة الرومانسية لكوميديا شارلي شابلن، وظل محمد يركض خلف الورقة وهي تراوغه بين المارة والباعة حتى استقرت على برميل موجود وسط بركة فاندفع محمد ظانًا أن عمقها بسيطًا فانغرست قدماه حتى طال الوحل ركبتيه، وعاد لإنجي بأقدام موحلة لكن الورقة في يده، لقد كانت ورقة تقويم اليوم قطعها من النتيجة ليحتفظ بالتاريخ وكتب على ظهرها جملة الوشم، ثم جلسا أمام مسجد الحاكم بأمر الله وكانا جائعين لكنه قايضها أن تقول له «بحبك» إن أرادت أن يقوم لشراء الكريب، ولقد كان لسانها لم يتعود على تلك الكلمة بعد فظلت تنظر في عينيه ولا تستطيع نطقها فساعدها بأن ينطق حرفًا وتردده خلفه، باء، حاء، باء، كاف، وبعد أن انتهى من تفريط الحروب شبكها ونطق الكلمة كاملة لترددها خلفه فلم تستطع، وظل يردد ويردد حتى تمكنت من ترديدها خلفه بعد أكثر من عشر مرات محاولات تفريط الحروف، ظلت إنجي تشاهد الفيديو وتتأمل فرحتها وهي

تحكي وبيدها الوردة وورقة النتيجة.

يقول الراوي: ربما تشاهد فيلمًا سينمائيًا فتتمنى أن تكون البطل، لكن هل من المعقول أن تشاهد فيلمًا لنفسك وتجدك البطل وأنت لا تعلم متى عشت هذه الأحداث وكيف وصلت لتلك المشاعر، وما هذا الجنون الأسطوري الذي تحكيه، لقد كانت الفيديوهات بالنسبة لإنجي أكثر خيالا من الأحلام، لقد استوقفها كثيرًا فيديو تقول فيه بالنص «يااااه، اليوم أسميناه مدحت، يااه، أبعد هذه السنوات يلين قلبي وأتلهف للتعلق بيد رجل؟!! لكنه ليس مجرد رجل، إنه رجل اختصرت فيه كل الرجولة والشهامة والنخوة، إنه محمد، الذي بدأ قربي منه مع فوبيا خوفي من الرجال، فلم ألمس يده منذ صرنا أخلاء، حتى السلام كان بالإشارة والكلام، ومرت سنون وأنا لا أصافح الرجال لشدة خوفي منهم إثر خيانة سراج، ولكني الآن شفيت، وما أرق تدرج أحداث الشفاء! وما أروع المشاعر حين تكون دواءً! لقد تعافيث بحبكَ من كل مخاوفي وأحزاني يا محمد، ورغم أني أقدر لك الحرص على راحتي حتى أنك لم تلمس يدي منذ تعانقنا في محطة حدائق الزيتون إلا وقت ارتدائنا التيجان في خطبتنا، ومن بعدها لم نتصافح حتى، وإني أقدر لك تكتيف يديكَ عن ملامستي، إن مراعاتكَ لي حركت كل ما فيَّ تجاهك، كنت ألمح في عينكَ

خوفك عليَّ أثناء عبورنا الطريق معًا وعدم استطاعاتك الإمساك بي، فوجدتني أتعلق بطرف ملابسك ثم تدرجت فصرت أضع يدي في جيبك، ومن أجمل ما في رجولتك أنك لا تطلب الشيء، ولكن عندما أفعله تترجاني ألا أتراجع عنه، واتفقنا أن يكون من أساسيات تمشيتنا معًا هو وضع يدي في جيب معطفك، ولأن قلبي ينجذب لك يوميًا أسرع من الضوء فها أنا اليوم وأنا أمد يدي لوضعها في جيب معطفك وجدتني أتعلق بذراعك فوجدتكَ ترتجف فلم أشعر بنفسي إلا وأنا قابضة بكفي على كفكَ وأربت عليكَ أطمئنكَ يا صغيري وطفلي المدلل، كيف تغيرتُ معكَ يا محمد؟ أو الأصح، كيف غيرني حبكَ يامحمد؟ وكيف مرت كل السنين وأنا لا أتعلق بيديك وألمس حرارة كفك لأنتعش حياة؟ يا عشقي لن أترك يدك بعد اليوم، ويالعظمة الرجل حين يستحي من تجرؤ فتاته عليه، يالجمالك وأنت تنظر ليدي وهي تضمد كفكَ «ما اسم هذا؟» فأجبتكَ «اسمه مدحت».

وبعد التيه في الصور والفيديوهات كان لقاء إنجي بمحمد مختلفًا عما سبق، كانت تهفو إليه وتتهرب منه في آن واحد، أقبلت عليه مستنجدة وقبل السلام قالت «أرجوكَ كن قويًا لأجلي لا تتعب من ثقل حملي عليك فأنت أهل الخير والإحسان، أنت بوصلة النجاة في بحر التوهان».

فأجابها عاشقها: «لستُ مجبرًا ولا مضطرًا ولا حتى أقوم بواجبي، إنني خُلقتُ لأحتويكِ يا إنجي».

فقاطعته بوهنٍ واستنكار «لماذا تُحبني؟! بل إنك تعشقني مع أني أجلبُ لك الأوجاع فقط ولم أعطيكَ شيئًا!»

فأجابها العاشق وهو يغوص بعينها: «خلقتُ لأحبكِ يا إنجي، شيء ليس له إجابة، هل سألتِ البذور لماذا تنمو؟ هل سألت الطيور لماذا تطير؟ حتى إن وجدتِ أسبابًا علمية، فأصل الإجابة واحد وهي أن كل شيء خلق لأداء شيء ما، لكل شيء شيء خلق له وبدونه تنعدم قيمته، وأنا مخلوق لحبك، مخلوق لمراعاتك، أتنفس قربكِ يا إنجي، أحسستُ معكِ بالونس الذي خلقة الله لآدم في أول وهلة رأى حواء، أرأيتِ أحدًا في الجنة ينقصه شيء؟!! نعم الجنة لا تؤنس، وآدم كان في الجنة ينقصه حواء، فما بالك وأنا في الأرض، يا حبيبتي إن القلوب رسل من عند الله، ولقد أرسل الله كل نبي لقوم، وأرسل قلبي إليكِ، أنتِ قومي ورسالتي، إنكِ لحياتي سفينة نوح والنور الذي رآه موسى في منتصف ليل الصحراء، ومعكِ لا ينقصني شيء، بل إنني أمتلكُ الدنيا فأشعر بمُلك سليمان، ومهما تكالبت عليّ الهموم والمصاعب

أجدك اللطف كما كانت نار إبراهيم، وإن قبضني البؤس كنتِ لي حلم يوسف وأمل يعقوب، معكِ تفهمث معجزات الأديان فأنتِ السند كحواريي عيسى والأنصار لمحمد، عليهم جميعًا الصلوات والسلام، لقد وجدت فيك قاموس الأرض والسماء، وتلمست بحبك عظمة الله في الملكوت وفي نفسي، وكأن الله خلق حاسة اللمس لأذوب عشقًا حين أصافحك، وكأن الله خلق حاسة الشم لتعشق أنفي رائحتكِ، لقد وجدتُ الوطن والسكن في رائحتك يا إنجي، فما بالك حين أنظر إليك وحين أسمع صوتكِ؟».

حاولت إنجي التماسك لشدة انهيارها الداخلي ورجفتها كونه يصف حبه لها، هي فقط تريده أن يترجم لها الأيام ويفزعها إن تفوه بحبها فقالت: «الناس تذهبُ للعرافين ليكشفوا المستقبل، لكني آتي إليكَ لتكشف لي الماضي، وتُخبرني من أكون ولتطمئن خوفي من الحاضر والمستقبل، يا صديقي إن الأيام صارت طلاسم وأنت الدليل ودنياي عتمة يكسوها العمى وأنت الضياء، لا لست الضياء هذا ظلم إنك أنت النور، والنور مصدر الضوء»، ثم أخرجت له الصور والفيديوهات وقالت له: الفترة الماضية وأنت تحكي كنت أتخيل ما تقوله، ولكن الآن أمامي نفسي وصوري وفيديوهاتي وأنا أحكي عني أشياء لا أعرفها وترعبني بقدر

حلاوتها، ولقد وجدتني أعيش وسط تفاصيل لا أعرفها، مثلا لماذا أحتفظ في محفظتي بتذكرة مترو مكتوب عليها بخطك (مانيكير بلون الحب)؟ وقبل أن يفسر لها محمد هذه التذكرة أخبرها بأنه لم يكن يعرف تصويرها تلك الفيديوهات وأنه فقط كان يعرف منها أنها تصنع ملفا سريًا اسمه (أيام لا تنسى) وكان وعدها أن تكشف له السر في أحضانه ببيتهما، وها هو السر ينكشف وقد نسيه صانعه، لقد تاه محمد في فلسفة الأيام ثم قال لها: ذات يومٍ مر أسبوع دون لقاء بسبب ضغط العمل، فأرسلتُ إليك رسالة تحمل عناوين أشواقي وأنهيتها بأني أريد أن أراكِ الآن أو حتى إصبعا منكِ، فأرسلتِ لي فيديو ثمانية ثوانٍ لظهر يدكِ اليسرى، ثم تلتفت فيظهر على وريدك اسمي الذي كتبتِه بالقلم الجاف وبجواره قلبان صغيران، وكانت أظافرك ملونة بمانيكير لونه مغرٍ، فهاتفتكِ وقد تضاعفت أشواقي وأكدتُ عليك أن المرة القادمة حين نلتقي يجب أن تضعي نفس المانيكير، وكعادتكِ حين تفاجئينني في انتظاري أمام العمل، وكعادتي لا أتوقع مجيئكِ وأتفاجأ كأنها المرة الأولى، في اليوم التالي بعد إنهائي العمل وجدتُ منكِ رسالة تطلبين أن أجلس دقائق في التكييف دون الخروج حتى تصلي، فانتظرتكِ، وأتيتِ بعد قليل وأنت ترتدين قميصًا بنيًا وسروالا جينز وبيدك المانيكير الذي أحببته، والمضحك أنكِ فور اللقاء حذرتِني ألا

أسخر من عدم توافق لون المانيكير مع ملابسك لأنك بعد أن ارتديتِها نسيتِ أن تنسقيها مع لون المانيكير، وكان وصفكِ «إنني أبدو عشوائية»، ولكني أجبتكِ «إنه مانيكير بلون الحب، ولولا أنه لا يتناسب مع الملابس لما كانت تلك الذكرى»، فقاطعته إنجي «وما علاقة هذا بتذكرة المترو؟»، فأجابها: «لأني في صباح اليوم اشتريت تذكرتين واحدة للذهاب والأخرى للرجوع لأني لم أتخيل مجيئكِ، وحين أتيتِ كان عليّ أن أوصلكِ بيتكِ وهو طريق مختلف عن المترو، فكتبنا على تذكرة الرجوع اسم يومنا واحتفظنا بها معكِ»

أدمعت إنجي وهي تقول: ياالها من ذكريات تفوق النعيم، ياليتني أتعافى وأصبح الفتاة التي تحكي عنها، إنني عاجزة يا محمد وأنا أشاهد نفسي القديمة ولا أستطيع حتى تقليدها، وأوقن أنك تشعر بي.

ثم شهقت وتكلمت بصوتٍ متقطعٍ بين البكاء وهي تقول:

- إنني فتاة بلا ذاكرة.

- أنا ذاكرتكِ، أنا كل ما تحتاجينه أو تشعرين أنه ينقصك.

- يؤلمني أنك لا ترى مني الحب الذي تستحقه.

- يكفي أن تكوني بخير.

- هل ستبقى معي مهما كلفك الثمن؟

- سأبقى، طالما وجودي يجعلك بخير.

* * *

منذ العثور على الهاتف بدا على ملامح إنجي الشحوب لقلة طعامها وكثرة بكائها ومشاهدتها ذكرياتها، صارت تذبل في كل يومٍ وهي تحاول التماسك، وكلما ألم بها الشحوب والأوجاع ذكرت نفسها بتضحية محمد لأجلها وأن ما تفعله هو أقل ما يمكن أن تقدمه له، كانت تصابر نفسها وتحاول التجمل أمامه لكن الأمر لم يخفَ عليه دون أن يخبره أحد، لقد فقدت جزءًا كبيرًا من وزنها منذ لقائهما في الإسكندرية، وعندما سألها محمد حاولت التهرب لكنه لاحقها بكلامه فاعترفت بنفسها وبات الحكي ثقيلا على محمد أكثر من إنجي، ولولا أنها استحلفته أن يكمل الحكي ما أكمل.

أدمع الراوي وهو يقول: لكَ أن تتخيل أن هذه القصة الجميلة باتت نقمة على الحاكي والمحكي له، ولهذا لم أخبرك بين طيات الكلام عن ردود أفعال محمد وإنجي كي لا أفسد عليك بريق المشاعر وروعة الأحداث، إن ما أجبر محمد أن ينهي القصة وأقسم ألا يتكلم فيما مضى هو أن تطور حالة إنجي وصلت أن أغشي عليها عندما أخبرها بتفاصيل علاقتهما من بعد خطبتهما وعن رقصهما بالشوارع وحبها تشبيك أصابعهما، كان مشهدًا مهيبًا عندما أغشي على إنجي فاحتضنها محمد قبل سقوطها أرضًا، ثم سكب المياه عليها، وعندما أفاقت بعد أن وضع العطر على أنفها قالت «أكمل كلامك، يا من تستحق الحب والحرب لأجلك» كانت عيونها دامعة وهي تستحلفه أن يكمل الحكي، عيونها كانت تصارع جسدها وعقلها، فأدمع محمد وهو يقسم ألا يحكي، لقد أشفق كل منهما على الآخر حتى وهن قلباهما، يومها أدرك محمد أنه صار أذى لحبيبته، وما أصعب أن تجد نفسك شرًا لمن تحب، أن يكون الفراق هو أعظم درجات الحب، أن يكون الرحيل هو القرب، أن تكون كل حسابات المنطق والجنون والعواطف والعقل وحتى القلب تتلخص في الوداع.

وبعد أن أوصلها لبيتها انقطع عشرة أيام عن مقابلتها، كان يكتفي بمهاتفتها أقل من دقيقتين في اليوم مجرد سلام

واطمئنان، وللأسف بدأت حالتها تتحسن بسبب انقطاع الحكايا، بدأت تستعيد وزنها وبريق ملامحها وانتعاش صوتها وهذا ما أقنع محمد بالرحيل التام.

فكتب محمد: إلى من أعيش لأجلها، إليكِ يا إنجي، هذه رسالتي الأخيرة، لا حكي بعد اليوم، وقبل أن أخبرك بختام الحكايات، دعيني أكتب لنفسي تلك الكلمات وأعاتبني من أجلك.. يا محمد، يا أنا، أما آن الأوان لتفيق من سطوتكِ على حبيبتك؟ لقد صرت مصدر الأذى والشرور لها، إنها تضمحل من رؤياك، لا تفسد عليها حياتها أكثر من ذلك، ليتك تركتها بذاكرتها التي أفاقت عليها دون أن تحاول تصحيح ذكرياتها، يا محمد كان يجب عليك أن تتفق مع أهلها ألا يخبروها بما كان بينكما، لقد كان الأصح أن تمحو أي دليل يشير إليك، ولكنك تغابيت وعاندت، وها قد وصلنا لنهاية المطاف، عليك أن تدرك الحقيقة لقد فقدت حبيبتك، لقد ماتت قصة حبك وعليك أن تواجه الأيام بصدر راضٍ أو انتحر، وإن الانتحار ليس بقتل النفس فقط، فإن التمادي في إضاعة الوقت انتحار، إن التمادى في استجلاب ما لن يأتي انتحار، إن انتظار حبيبٍ لن يعود انتحار، ياااه، لو أنني أستطيع قتل روحي مثل جسدي كنت سأنتحر بلا رجعة، ولكن الجسد زائل والروح خالدة، فكيف أختار العذاب الأبدي بدلا من

الصبر على حياة زائلة، ارحل يا محمد، ارحل يا أنا، اترك حبيبتك تحيا لا تعذبها أكثر من ذلك، لو أنك حقا أحببتها فأستحلفك أن ترحل، أعلم أن أرض الله واسعة لكنها لا تتسع لعاشقٍ غابت عنه حبيبته، إن البراح في عينيها والضيق في الغياب، ولكن للقدر حسابات أخرى وحكمة الأيام نادرًا ما ندركها في الحال، إن الأيام تفسرها الأيام على مهلٍ من الوقت، والقدر لن يتعجل لأجل إنسان وتلك أحكم الحكم، يا حبيبتي إنك أحب البلاد لقلبي وموطن روحي ولولا أن الذاكرة أخرجتني منكِ لما خرجت، والهجر لا يُعد انسحابًا في جميع المواقف، قد يكون الهجر هو السلامة لجميع الأطراف، ربما أجد الفتح بعد الهجرة مع أن هجرتي بلا صديق ولا ينتظرني أحد بعد سفري، فما أشقى الطريق بمسافر لن يجد من يستقبله.

أتعرفين كما يمر المسحراتي فجرًا في ليالي رمضان، بات اختبار الصبر يقرع طبوله كل ليلة، لكن المسحراتي يطوف ثلاثين يومًا في السنة، فما دهاك أيها الصبر تطوف ثلاثين سنة في كل ليلة، صارت أيامنا تشرب من صفاء روحي وتوقد في سعادتي نيرانًا لتدفئها.

يا حبيبتي إنجي إنني لأول مرة منذ خطبتنا أخلع تاجكِ

من إصبعي، لقد حسمتُ أمري ولآخر مرة سأذهبُ إليكِ وإما أعود وقد أرجعتِني لقلبكِ بتحديد موعدٍ لزواجنا وإعادة حياتنا الطبيعة أو أعود برحيلٍ بائنٍ لا رجعة فيه، سأرحل ولن أترك عنوان الوصول إليَّ وسأحرق جميع الرسائل حتى الرسالة التي أكتبها حالا سأحرقها، سأرحل لمكانٍ لا يعرفني فيه أحد، لمكانٍ لم أذهب إليه يومًا، وسأبني فيه نفسي المهدومة وأعيد شتات روحي، يا إنجي أرجوكِ لا تضيعي حبنا اليوم لأنكِ إن بقيتِ على حالك فسأوافق مديرتي وأنتقل لشرم الشيخ للعمل بفرع الشركة الجديد، وربما تكون الميزة أنني سأتعامل مع العملاء مباشرة في فرعٍ بدلا من مكوثي خلف السماعة والرد على المهاتفات، ورغم أن الانتقال مغرٍ ورغم أن مكوثي في القاهرة مرهق من السماعة، لكني أريد البقاء هنا بجوارك، فلا تُجبريني على الرحيل، أتعلمين ما يدور بذهني الآن؟ لو أنكِ أجبرتني على الرحيل فسأخبر أمي أنني تركت العمل بشركة الاتصالات لأعمل بمطعم في محافظة الغردقة، لن أخبر أحدًا أنني ذاهب لشرم الشيخ، وسأغلق جميع حساباتي على مواقع التواصل الاجتماعي وسألغي بريدي الألكتروني وحتى رقم هاتفي سأغيره، وربما ألقي بهاتفي في القمامة كي لا تعثري عليَّ في أي يوم، ولن أكتب بعد اليوم، لن أكتب أي حكاية يا بطلة كل حكاياتي، يكفيني أنني يوميًا أسأل نفسي كيف استطاع

الفراق أن يهزمنا ثم استسلم أمام النسيان فصرنا أغرابًا تبكينا حلاوة أيامنا المفقودة.

لقد وعدتُكِ أن أجعل ما بيننا رواية يُقسِمُ بها العشاق، وها قد وفيتكِ وعدي، لكني ما تخيلت أن نصل لهذه الدرجة من الأسطورية فلم نعد نسيطر على الواقع ولم تعد عقولنا تتحمل أحداث قصتنا، تخيلي من ذكرياتنا التي تفوق العمر الذي عشناه معًا، أشعر أنكِ فتاة خطفت قلبي ثم اختفت في الزحام، أتأمل ماضينا فأجده طويلا دسمًا تملؤه مئات السنين الضوئية، لكن منذ نسيانكِ لي أشعر أن الذي بيننا كان مجرد وميض لم تلمحه العين ولم يدركه العقل، وختامًا ربما ذات يومٍ أقرأ حكاياتي في أحضانك أو تلتهمها النيران فور عودتي اليوم من زيارتكِ، وآخر ما سأكتبه لكِ بصوت أشجاني أم كلثوم:

طول ما أنت غايب ماليش حبايب في الدنيا ديه.. والفكر سارح والهجر جارح يانور عينيه.. أروح لمين؟»

وكالعادة كان التوقيع «الحبيب المنسي».

وبعد أن انتهى من الكتابة وضع الدفتر في درج المكتب

وبجواره خاتم الخطبة ثم ارتدى ملابسه وذهب لبيت إنجي ليأتي بالخبر الأخير.

وعن آخر لقاء، كانا في الشرفة يشربان الشاي وصوت أم كلثوم ينبعث من أقصى البيت وهي تقول «كان لك معايا أجمل حكاية في العمر كله» فنظر محمد لإنجي وتبسم ففهمت، فقال:

- تحسن حالك عندما بعدت.

- لا تقل هذا، وقل تحسنت عندما أخذت وقتًا للراحة والنوم وعدم التفكير.

- كل هذا يحدث بغيابي فقط.

- سأكون بخير من أجلك.

- متى؟

- لا أعرف.

- ربما تتعافين إن تزوجنا.

- أرجوك، لا تخبرني بشيء من هذا القبيل.

- يا إنجي، اعتني بنفسكِ جيدًا.

- إياك أن ترحل.

- أي شيء يأتي سيرحل ذات يوم.

- إلا أنت.

- إن كان رحيلي موجعًا فبقائي أوجع.

عاد محمد إلى بيته، أخذ صندوق الرسائل فوق سطح البيت، سكب عليه الجاز وأشعل النيران، كانت الرسائل كثيرة فأخذت وقتا طويلا مع النيران، جلس محمد يتأملها بعينين دامعتين، إنه لم يتخيل أن يحرق مشاعره وذكرياته، والنيران لا ترحم وكأنها تشتعل بدموعه وأنينه، تحولت رسائل عشقه لرماد بعد انتهاء حريق عمره وعشقه، انتهى كل شيء وأذن مؤذن الرحيل ألا تلتفت لمدينة الرماد.

(١٣)

لملم الحبيب المنسي ملابسه في حقيبة سفر وودع أهله ووعد أمه أن يهاتفها يوميًا ليطمئنها عليه، لكنه لن يكون متاحًا طوال الوقت، لقد قرر أن يشتري رقم هاتف جديد ويغلقه طوال اليوم ثم يفتح الهاتف دقيقتين ليطمئن أمه ويغلقه، وقبل أن يغلق باب الشقة خلفة قَبّلَ رأس أمه وأمنها أن تدعو له بالتوفيق في مهنته الجديدة بأحد مطاعم محافظة الغردقة، وأغلق الباب وولى مدبرًا ولم يعقب.

وما أقسى صوت كركرة عجلات حقيبة السفر على الأرصفة المضلعة في سفرٍ تثبت فيه لنفسك أنك لا تملك من تبقى لأجله، رحل الحبيب المنسي لأرضٍ لم تنساه لأنها لم تعرفه بعد، لعنوانٍ لا يعرفه أحد، ولقد أكد تضليل أهله حتى لا يصلوا إليه ولا يوصلوا إنجي به إن عبست الأيام وقذفتها أمواج الافتقاد، لا يريد أن يعثر عليه أحد وهو لم يعثر على نفسه.

ولقد تعمد أن يصل قبل موعد العمل بيومين، واختلى بنفسه مع البحر والبؤس ربما تجرف الأمواج رماد الحب

المحروق على شاطئ قلبه.

وبدأ العمل في مكانٍ جديد مع أشخاصٍ لا يعرفونه، لم يعد يكتب الرسائل ولم يعد ينتظر الرد، لم يعد يحارب الذاكرة أو يستجدي الذكريات، كانت الساعات تمر سريعًا في العمل وتتباطأ باقي اليوم، وبعد أن مر الأسبوع الأول ووجد الوقت يذبحه بالتفكير في وطنه الذي نسيه، ولحسن حظه أن مواعيد عمله في الفرع ثابتة، وبينما يتسكع في الطرقات ذات يومٍ وجد إعلانًا على باب أحد ملاهي الأطفال يطلبون موظفين لتشغيل الألعاب ولأنها وظيفة في مكانٍ بسيط فبدأ العمل بعد المقابلة بيوم.

صار يستغل يومه وطاقته في بذل مجهودٍ كبير، فلم يعد لديه وقت للتفكير فيما فات، لكنه كان يحلم يوميًا بإنجي تعانقه من ظهره وهو واقف أمام البحر، رغم أنه اختار البعد لكن طيفها كان يسعده في أحلامه ويستيقظ مطمئنًا بها، ولم ينقطع يومًا في الاتصال بأمه قبيل نومه ثم يعيد إغلاق الهاتف وعندما يفتحه في اليوم التالي يجد رسائل بعشرات الاتصالات من إنجي، فكان يحذف الرسائل دون قراءتها، لقد حاول أن يغلق الأبواب التي يتسرب منها العمر.

وكانت إنجي تتلوى من فقده وتفقده بعد مرور أول ثلاثة أيام، مع أنه خلال الشهر الفائت كان يهاتفها مرة أسبوعيًا لكنها كانت مطمئنة لوجوده، أما فكرة الانسحاب التام عذبتها، لقد افتقدت آلامها معه، وعندما مر أسبوعان لم تتحمل عدم مقدرتها على الوصول إليه فقد تخطى وجع غيابه جميع أوجاعها، ولكنه لم يعد متاحًا، وما فائدة الاستيقاظ بعد فوات الأوان؟ ها هي أوجاع إنجي تحركها حتى بيت محمد فتطرق الباب، وبمجرد أن تفتح أمه ارتمت إنجي بين أحضانها تشتم فيها رائحة ابنها وتستحلفها أن تدلها على أي طريق لمحمد أو تعطيها أي وسيلة تواصل، ولكن ما بيد الأم حيلة سوى أن اقترحت على إنجي المكوث معها حتى يحين اتصاله، فاستأذنت إنجي أهلها وجلست في انتظار الهاتف حتى نامت على الأريكة بالصالة، فجلست الأم تتأملها في حسرة وهي تهمس داخلها، افتقدتِه بعد أن تركنا ورحل، أدركتِ قيمته بعد أن غاب؟ يا ليت قلبه يحن حين يعرف حالك وياليتك تستقيمين إن عاد لكِ، وعندما اتصل محمد رحبت به أمه ودون أن تخبره أيقظت إنجي لكنه فور أن سمع صوتها قطع الاتصال وأغلق هاتفه ولم يعاود الاتصال عدة أيامٍ.

ولأن إنجي ما عادت تحتمل غيابه فقد قررت أن تذهب

للبحث عنه في مدينة الغردقة، وبالفعل اصطحبها أبوها ومكثا في الغردقة أسبوعين لم يتركا مطعمًا إلا وسألوا فيه عن محمد وأبرزوا صوره للناس في الطرقات، وكيف تجد ما تبحثُ عنه في مكانٍ ليس فيه!!

لقد فُطِرَ قلب الأب في رحلة البحث وتحمل بكاء ابنته وتحسسها الشوارع كالمجاذيب تبحث عن حبها الراحل، يستيقظان في السابعة صباحًا فينزلان الشوارع ولا يعودان إلا بعد أن تفنى طاقتهما في العاشرة مساءً، ولقد تأخرا لمنتصف الليل في بعض الأيام، وعندما لم يعد للبحث مكانٌ جديد عادا إلى القاهرة يجران الخيبة والهزيمة، لقد تعلقت به في بحثتها عنه أكثر مما كان معها، أحبته في الغياب مع أن حضوره كان يؤذيها.

مكثت إنجي في غرفتها يومين تنام وتأكل فقط، وعندما ارتاحت من تعب السفر قادها قلبها لبيت محمد لترتمي في أحضان أمه من جديد ربما تحظى بمكالمته وتذوق صوته، وظلت تحكي لأمه عن رحلة بحثها عنه وأنها متأكدة من عدم وجوده بالغردقة، ولقد كان الأسى على الأم أكبر مما توقعت إنجي لأن محمد صارت اتصالاته قليلة بسببها، كانت عيون الأم تعاتب إنجي عتابًا ذباحًا، وبعد أن انتهى اليوم

وهمت بالرحيل استأذنت أن تُلقي نظرة على غرفة حبيبها الراحل، ودخلت تتأمل مكانه الذي حواه منذ طفولته، فراشه ودولابه وبعض بقايا ملابسه، ومكتبه.

* * *

«عميل رقم ستة وثلاثين شباك رقم سبعة».

هكذا نادى الموظف في مكبرات الصوت في فرع شركة الاتصالات فقامت إنجي من ساحة الانتظار تتخطى الجميع، وعندما وصلت شباك سبعة لم تجد فيه محمد فتخطته إلى شباك رقم أربعة، وكان محمد مشغولا بعمله بتسجيل بيانات عميل في الورق، ولأن مستوى شباك خدمة العملاء عالٍ فيخبئ الموظف الجالس خلفه، وكان محمد ينظر للأسفل بتركيزٍ تام فاستسمحت إنجي من العميل بحركات الإشارة وهمس بسيط في أن يتنحى جانبًا، ثم جلست إنجي على ركبتيها بوضعٍ مسرحي ومدت خاتم محمد الأسود وباقة ورد، كان جميع العملاء والموظفين في ترقبٍ لما يحدث، وعندما رفع محمد عينه من أوراقه وجد العميل يقف بعيدًا عن الشباك، فقام يمد إليه الأوراق ففغر فاه مما رآه، سكت طويلا ثم قال:

- من أخبركِ بمكاني؟

- النسيان.

- كيف؟

- يبدو أنك نسيت أن تحرق الجواب الأخير.

يقول الراوي: لقد اصطحبت إنجي أباها أمها وإخوتها ومعهم والدة محمد وأخوه، والمأذون، وبكل شجاعة ظلت إنجي راكعة لحبيبها حتى يستوعب ما يراه ثم طلبت منه الزواج، وقبل أن يجيب بأي كلامٍ قالت أم محمد «يا بني، لا تضيع حبك فتضيع».

وفي غفلة من البؤس انتصر كفاح العشاق وتم عقد قرانهما بين انبهار العملاء وضحكات الموظفين وبهجة العائلة، وكما يقول الراوي إن أفضل ما نختتم به حكايتنا هو كلام إنجي وآثار الحبر في إصبعها بعد عقد القران حين قالت «لقد كان النسيان سبب رحيلك، وأيضًا كان سبب عثوري عليك، أنا نسيث حبنا وأنت نسيت أن تحرق عنوانك، فشكرًا للنسيان على ما فعله بنا لأنه جعلني أرى عظمة حبك لي وأظن أنه

أراكَ الآن مكانتك بقلبي، أنا لم أتذكر حبنا ولكني أحببتُكَ من جديد ووجدتُ فراقكَ يفوق أوجاع خوفي من الارتباط، سوف أتعافى بكَ من جديد مثلما تعافيتُ في خطبتنا، أحبكَ يا محمد».

تمت بحمد الله

بطلة كل حكاياتي

بطلة كل حكاياتي

ليست مجرد قصة للتسلية..

بين أيديكم محاولة للتوغل في مهنة امتهنها معظم جيلي، والتي بسببها كنا نسمي الجامعة «جمهورية الكول سنتر».

إن رواياتي رسالة شكر وتقدير لموظفي خدمة العملاء أينما وجودوا في أرض الله بمختلف تخصصاتهم، سواء كان تعاملا مباشرًا مع العملاء أو من خلف سماعات الكول سنتر، إلى الذين يبتسمون رغمًا عنهم ويُنعِشُونَ العملاء في عز انكسارهم وأحزانهم وضغوطهم، الذين يُقنِعُونَ أنفسهم بأن شتائم العملاء ليست لشخوصهم وأن نبرة احتقارهم لا تقلل منهم.

لقد قلتُ في رواياتي ما لم أستطع قوله للعملاء حين كنتُ موظفًا أخدمهم، رواياتي حررتني من سجن الكلمات المكبوتة، وأتمنى أن تحرر زملاء نفس المهنة، وإنني أتمنى أن نصنع أرضًا مشتركة بين الموظف والعميل فيسود السلام فغالبًا في كل أسرة موظف وعميل.

وختامًا..

رسالتي للعملاء : لا تُخرِجُوا كَبتَكُم من الحياة في موظفي خدمة العملاء.

(عن المؤلف)

محمد عادل محمد عبد العال المشد

ليسانس آداب - قسم إعلام / صحافة - جامعة عين شمس.

(حاصل علي المركز الأول لكتابة القصة من جامعة عين شمس لعام ٢٠١٢/٢٠١١)

الأعمال السابقة:-

١) رواية (عَرِفتُ الله بِحُبِك)

٢) رواية (أحببتُ لاجئة)

٣) كتابة وتقديم برنامج «عيد» للأطفال - قناة الناس الفضائية.

٤) إخراج وتأليف حملة «بيحبنا وبنحبة ﷺ» عن مواقف الرسول ﷺ مع الأطفال - قناة سمسم للأطفال الفضائية.

٥) كتابة وتقديم برنامج «فيسبوكاوي» – قناة صدى البلد الفضائية.

٦) كتابة وأداء صوتي لحواديت برنامج «قصاقيص» - قناة الندى الفضائية.

٧) كتابة حلقات الأطفال لبرنامج «ساعة مع شريف» للإعلامي / شريف مدكور - قناة المحور الفضائية.

٨) كتابة حلقات الأطفال لبرنامج «وماذا بعد» للإعلامية / رولا خرسا - قناة LTC الفضائية.

٩) تأليف وإخراج هذه الأفلام..

«جزيرة الورد» و«انتحار ممتع» و«بالعكس» و«بدون أعذار»

١٠) كتابة وتقديم برنامج الأطفال «حبات اللؤلؤ – الموسم الثالث» – قناة أهل القرآن الفضائية.

١١) المشاركة في كتابة وتقديم البرنامج الوثائقي «بلاد الكنانة» - قناة اقرأ الفضائية.